هارب من الموت

-يهديه نصا-

(لخضر بن الزهرة)

نصوص أدبية: هارب من الموت – يهديه نصا
المؤلف: لخضر بن الزهرة
تدقيق لغوي: لخضر بن الزهرة
تنسيق وإخراج داخلي: لخضر بن الزهرة
تصميم الغلاف: إسلام مجاهد

رقم الإيداع: 17655 / 2019
الترقيم الدولي: 978/977-85544-0-3
الطبعة الأولى: 2019
رئيس مجلس الإدارة: أ. د. محمود محمد السعيد
المدير العام: هالة البشبيشي

بريد إلكتروني: info@alhalapublishing.com
تليفون : 01110161117
العنوان: 26 ش 261 المعادي الجديدة
صفحة الفيسبوك: مركز الهالة الثقافي
https://www.facebook.com/alhalapublishing

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة للدار، ولا يحق لأي شخص أو مؤسسة أو جهة إعادة إصدار هذا الكتاب، أو جزء منه، أو نقله بأي شكل من الأشكال، أو وسيلة من وسائل نقل المعلومات، ولا يجوز تداوله إلكترونيًا نسخًا أو تسجيلًا أو تخزينًا، دون إذنٍ خطيٍّ من الدار

جميع الآراء الواردة في هذا الكتاب تعبر عن رأي كاتبها، و لا تعبر بالضرورة عن رأي دار النشر.

هارب من الموت

يهديه نصا

(نصوص أدبية)

لخضر بن الزهرة

مَحَطَّاتُ الحِكَايَةِ

هَكَذَا تَشَكَّلَتِ الحِكَايَةُ 5

الحُزْنُ يَعْدِلُ جَلْسَتَهُ 17

أَحَادِيثُ الحُزْنِ 23

لِلْمَوْتِ أَكْتُبُ 39

عُزْلَةٌ 57

سَفَرٌ بِطَعْمِ المَوْتِ 69

الغَائِبَةُ تَعُودُ 87

==> لِلتَّوَاصُلِ مَعَ الكَاتِبِ 96

هَكَذَا تَشَكَّلَتِ الحِكَايَةُ

قَبْلَ الاعْتِرَافِ بِلَيْلَةٍ

(1)

كُنْتُ أُحَاوِرُكِ كَثِيرًا مِنَ اللَّيْلِ حَتَّى فتَحْتُ مَنَافِذَ قَلْبِي كُلَّهَا، وَلَمَّا هَمَسْتُ: هَا هُنَا وَطَنُكِ صَارَتْ تَغَارُ مِنْكِ النُّجُومُ.

(2)

طِفْلًا سَهِرْتُ أُشَكِّلُ بِمُكَعَّبَاتِ شَوْقِي قَصِيدَتِي، ثُمَّ عَبَثْتُ بِالنُّجُومِ لِتَكُونَ قَصِيدَةً كَوْنِيَّةً تُشْهِدُكِ حُبِّي، وَعَطَّرْتُهَا بِدُمُوعِ الغِيَابِ، فَهَلْ نَسَخْتِهَا قَبْلَ أَنْ تُدَاهِمَنَا الشَّمْسُ؟

صَبَاحٌ لِلْحُبِّ

(1)

هَلْ مِنْ أُمْنِيَةٍ تُرَاقِصُنِي عَلَى أَلْحَانِ مَقْطُوعَةِ (Country Gardens)؟ أُرِيدُ أُمْنِيَةً بِنَكْهَةِ طِفْلَةٍ تُعِيدُنِي ثَلَاثِينَ سَنَةً لِنَرْقُصَ بِكَامِلِ سَذَاجَتِنَا. القَمَرُ بَدْرٌ وَالجُنُونُ –فِي رَأْسِي– مُكْتَمِلُ الدَّوَرَانِ!

(2)

سَلَامٌ لِرُوحٍ تُعَانِقُنِي فِي لَحَظَاتِ الابْتِعَادِ تُخَفِّفُ وَجَعَ المَسَافَاتِ، وَسَلَامٌ لِشَمْسٍ تُدَفِّئُ قَلْبِي، وَتُوقِدُ مَشَاعِرِي لِعُمْرٍ إِضَافِيٍّ.

(3)

أَتَلَقَّى إِشْعَارًا بِقِرَاءَةِ الرِّسَالَتَيْنِ فَأَنْتَظِرُ رَدًّا. / دَقِيقَتَانِ. / عِشْرُونَ. / لَا رَدَّ يُخَفِّفُ مَا أَنَا فِيهِ! / هَلْ أُحَضِّرُ نَفْسِي لِخَيْبَةٍ مَا؟!

(4)

عِنَاقٌ صَبَاحِيٌّ رَقِيقٌ. / ابْتِسَامَاتٌ تَغْزِلُ خُيُوطَ الشَّمْسِ فَرَحًا. / طِفْلٌ رَضِيعٌ –لَا يَعْرِفُنِي– كَانَ هُنَا.

(5)

عُصْفُورٌ يَصْدَحُ بِأُغْنِيَةٍ لِأُنْثَاهُ. / العُصْفُورَةُ تَضَعُ رَأْسَهَا تَحْتَ جَنَاحِهَا خَجَلًا. / فِي قَلْبِي تَوَهَّجَتْ قَصِيدَةُ حُبٍّ.

(6)

حَتَّى مَا أَسْمَعُهُ رُومَنْسِيٌّ جِدًّا! آخِذٌ جِدًّا! حَالِمٌ جِدًّا! أَبْتَسِمُ أَحْيَانًا، وَأَبْكِي أَحْيَانًا. أَشْعُرُ مَرَّةً بِرَعْشَةِ بَرْدٍ فِي بَعْضِ المَقْطُوعَاتِ تَتَّحِدُ مَعَ بَرْدِ الشِّتَاءِ، وَأُحِسُّ مَرَّةً أُخْرَى بِدِفْءٍ عِنْدَمَا تَنْفَعِلُ المُوسِيقَا انْفِعَالَ الشَمْسِ فِي وَجْهِ السُّحُبِ.

(7)

هَا أَنَا كَأُغْنِيَةٍ إِسْبَانِيَّةٍ أَنْدَلُسِيَّةِ العِطْرِ! القِيثَارُ مِنْ غَرْنَاطَةَ وَالبِيَانُو مِنْ قُرْطُبَةَ، وَالقَلْبُ كُتْلَةُ شَوْقٍ لِلْأَنْدَلُسِ، وَحَبِيبَتِي جِنِّيَّةٌ تَسْكُنُ المُتَوَسِّطَ؛ تَرْقُصُ عَلَى أَنْغَامِ جُنُونِي هَذَا الصَبَاحَ، وَتَخْطِفُنِي مِنْ وَجَعِي إِلَى دَهْشَتِي.

تُنْعِشُنِي أُغْنِيَةُ الإِسْبَانِيِّ: (بَابْلُو أَلْبُورِينْ – **Pablo Alborán**).

(**Regálame tu risa**) / (اعْطِنِي ضِحْكَتَكِ هَدِيَّةً)

(**Enséñame a soñar**) / (عَلِّمِينِي كَيْفَ أَحْلُمُ)

مَا مَدَى عَلَاقَةِ المُوسِيقَا بِالشِّتَاءِ؟!

فِي الشَّارِعِ الَّذِي قَادَنِي إِلَيْكِ

(1)

مُتَسَكِّعًا فِي الشَّارِعِ؛ ابْتِسَامَاتِي تَمْلَأُ المَكَانَ طِفْلًا خَرَجَ لِلنُّزْهَةِ. خُطُوَاتٌ تَتَسَارَعُ، أُخْرَى تَتَبَاطَأُ، الْتِفَافٌ حَوْلَ دَائِرَةِ الفَرَحِ دَاخِلِي كَرَقْصَةِ رَبِيعٍ يَتَحَدَّى الفُصُولَ، وَيَصْرُخُ عَابِثًا بِالوَجَعِ. كُوبُ عَصِيرٍ اسْتَوْقَفَنِي لَحَظَاتٍ. أَ مَا رَأَيْتُنِي مُنْتَعِشًا بِعَصِيرِ القَصَبِ كَاليَوْمِ! مَاذَا يَحْدُثُ دَاخِلِي؟ أَتَصْنَعُ وَصْلَةٌ خُرَافِيَّةٌ لِلْمُوسِيقَا كُلَّ هَذَا؟

(2)

أَخْفِضُ رَأْسِي وَأَسْتَرْسِلُ اسْتِمَاعًا.

تُرَاوِدُنِي عَنْ نَفْسِي، تَتَوَغَّلُ فِي صَمْتِي تُحَطِّمُهُ. كَيْفَ لِأَرْبَعَةِ أَوْتَارٍ أَنْ تَصْنَعَ أَلْفَ أَلْفِ حِكَايَةٍ وَتَجْعَلُنِي عَاشِقًا؟!

كَمَنْجَةُ؛ هَيْتَ لَكِ!

فِي حَضْرَةِ المَوْعِدِ الأَوَّلِ

1/ بَعْضُ الابْتِسَامَاتِ حَيَاةٌ أُخْرَى.

2/ الابْتِسَامَةُ رِسَالَةُ حُبٍّ وَسَلَامٍ تُضِيءُ الدُّرُوبَ وَتُدَفِّئُ الأَمَاكِنَ؛ فَابْتَسِمِي حَبِيبَتِي كَيْ تَصِيرِي قِنْدِيلِي، وَأَصِيرَ رَسُولًا.

3/ تَعَالِي نَقْتَسِمِ الضِّحْكَةَ رَغِيفًا لِرُوحَيْنَا، فَلَا مِزَاجَ عِنْدِي لِلضَّحِكِ دُونَكِ، وَنُكَتُ اليَوْمِ لَمْ تُغَيِّرْ شَيْئًا فِيَّ رُغْمَ كُلِّ اسْتِفْزَازَاتِهَا.

إِنِّي أَفْتَقِدُ قَهْقَهَةَ الطِّفْلِ دَاخِلِي.

4/ هَاتِي يَدَكِ فِي يَدِي؛ وَلْنَعْبُرِ الشَّارِعَ مَعًا. أَمْسِكِي يَدِي؛ لَا تُفْلِتِيهَا، وَلْنَتَحَدَّ مَعًا الصَخَبَ؛ وَنَمُرَّ إِلَى الضِّفَّةِ الأُخْرَى.

قِفِي عَلَى أَطْرَافِ أَصَابِعِكِ وَامْتَدِّي بِعُنْفُوَانٍ. إِنْ عَجَزْتِ سَأَخْفِضُ قَامَتِي كَيْ يَتَوَازَى خَطَّا التَّحْدِيقِ فِي خَطٍّ وَاحِدٍ. انْثُرِي أَنْفَاسَكِ فِي وَجْهِي؛ فَأَنْفِي يَشْتَاقُ إِلَى أَنْفَاسِكِ.

فِي دَهْشَةِ اسْتِنْشَاقِ عِطْرِكِ دَعِي أُذُنِي تَبْتَهِجُ بَعْدَ نَوْبَةِ اشْتِيَاقٍ لِصَوْتِكِ. بَيْنَ تَفَاصِيلِ لَمْعَةِ عَيْنَيْكِ وَرَوْعَةِ ابْتِسَامَتِكِ سَتَرْسُمُ عَيْنِيَّ حَنِينَهَا لَكِ فِي جَلْسَةِ تَأَمُّلٍ عَمِيقٍ، وَهُنَا أَنْطِقُ كُلِّي: مُشْتَاقٌ لَكِ.

ضُمِّي يَدِي. فِي لَحْظَةِ الدِّفْءِ العَابِرِ حُدُودَ الصَّمْتِ أُقَبِّلُ يَدَيْكِ، وَأَدْعُوكِ لِصُنْعِ صَخَبٍ آخَرَ فِي الشَّارِعِ، وَنَمْضِي طِفْلَيْنِ بِكُلِّ نَوْبَاتِ الاشْتِيَاقِ.

(فْلَاشْ بَاكْ)

قَبَّلَتْنِي، ثُمَّ لَامَسَتْ وَجْنَتِي بِيَدِهَا وَابْتَسَمَتْ، ثُمَّ قَالَتْ عَيْنَاهَا: لَا يَلِيقُ بِكَ أَنْ تَحْزَنْ!

أَبْتَسِمُ وَأَنَا أَبْحَثُ عَنْ لَمْسَتِهَا فِي تَفَاصِيلِ وَجْهِي، فَتَدْمَعُ عَيْنِيَّ افْتِقَادًا لَهَا. أَأَحْبَبْتُهَا كُلَّ هَذَا الحُبِّ؟ أَأَشْتَاقُ لَهَا كُلَّ هَذَا الاشْتِيَاقِ؟

كَمْ أَكُونُ رَائِعًا –حَدَّ الدَّهْشَةِ وَحَدَّ التَّنَكُّرِ لِخُزْنِي وِلأَنَايَ المَهْزُومَةِ– وَأَنْتِ مَعِي؟! كَمْ أَكُونُ رَائِعًا لَوْ نَادَيْتِنِي أَبِي يَا صَغِيرَتِي الَّتِي تَأْتِينِي فَرَحًا كَامِلًا مُتَجَدِّدًا حُلْمًا كُلَّمَا خَمَدَ الفَرَحُ دَاخِلِي؟!

لَمَّا قُلْتِ لِي: أَنْتَ طِفْلِي

(1)

لِأَنَّ طُفُولَتِي لَمْ تَكْتَمِلْ كَمَا أَرَدْتُ، وَكَبِرْتُ بِسُرْعَةٍ؛ هَا أَنَا أُمَارِسُ طُفُولَتِي المَحْرُومَ مِنْهَا مَعَكِ.

أَنَا طِفْلُكِ الَّذِي لَا يَكْبَرُ.

(2)

لَيْتَكِ كُنْتِ مَعِي يَوْمَهَا؛ قَبْلَ بَدْءِ تَأْرِيخِ وَجَعِي وَتَوَقُّفِ الحَيَاةِ فِي الخَامِسَةِ.

احْتِوَاؤُكِ يَقِينِي أَنِّي طِفْلٌ بِشَهَادَةِ مِيلَادٍ مُزَوَّرَةٍ!

قَهْوَةٌ بَيْنَنَا وَمَطَرٌ

(1)

– أُرِيدُ قَهْوَةً.

– أَعْرِفُكَ كَارِهًا لَهَا!

– أَنْتِ سُكَّرُهَا، وَبِكِ أَتَحَدَّى مَرَارَتَهَا، وَأَعْبَثُ بِسَوَادِهَا بِبَيَاضِ حُضُورِكِ.

(2)

الآنَ تُمْطِرُ السَّمَاءُ حُبًّا رَقِيقًا؛ فَتَرْتَعِشُ الأَشْجَارُ مِنْ حَمِيمِيَّةِ العَاطِفَةِ.

أَنَا شَجَرَةٌ أَصِيلَةٌ مِنْ هَذِهِ الأَرْضِ؛ أَطْلُبُ حَقِّي فِي الحَيَاةِ.

آخِرَ النَّهَارِ / وَحْدِي

قَهْوَةٌ تُرَاقِصُ خَلَايَا دِمَاغِي، وَفَيْرُوزُ تَحْكِي لِي عَنْكِ حَدَّ تَشَكُّلِ طَيْفِكِ دَاخِلِي، فَأُرَاقِصُكِ بِجُنُونِ اللِّقَاءِ الأَوَّلِ وَسِحْرِهِ.

كَمْ قُبْلَةً تَاهَتْ مِنِّي خَجَلًا مِنْ خَدْشِ الصُّورَةِ؟

الحُزْنُ يَعْدِلُ جَلْسَتَهُ

وَحْدِي مَرَّةً أُخْرَى

(1)

جَانِبٌ مِنَ النَّهْرِ هَادِئٌ مِثْلِي كَأَنَّهُ يُدْرِكُ أَبْعَادَ حُزْنِي.

«لِلْحُزْنِ قَدَاسَةٌ يَلِيقُ أَنْ تُحْتَرَمَ.»

هَكَذَا كَانَ يَهْمِسُ المَاءُ.

(2)

هَذَا الصَّمْتُ دَاخِلِي مُخِيفٌ جِدًّا.

الطِّفْلُ الَّذِي تَعَوَّدَ البُكَاءَ وَالصُّرَاخَ كَيْ يَتَطَهَّرَ مِنْ وَجَعِهِ هَا هُوَ يَكْبَرُ بِسُرْعَةٍ وَبِصَمْتٍ.

الصَّمْتُ المُرِيبُ يُوقِدُ القَسْوَةَ، وَيَحْرِقُنِي!

طِفْلَانِ

(1)

عَلَى جَنَاحِ غَيْمَةٍ تَرْحَلُ الرُّوحُ تُطَارِدُ ضِحْكَةَ طِفْلٍ هَارِبٍ، وَأَبْقَى خَاوِيًا مِنِّي أُوَاجِهُ مَطَبَّاتِ الأَسْئِلَةِ.

(2)

كَمْ جَمِيلٌ أَنْ يَبْتَسِمَ فِي وَجْهِكَ طِفْلٌ مَا زَالَتْ رُوحُهُ لَمْ تَتَّسِخْ بِأَحْزَانِنَا لِيُعِيدَ لَكَ وَعْيَكَ بِطُفُولَتِكَ السَّاكِنَةِ فِيكَ حَدَّ الفَرَحِ، وَالتَّعَلُّقِ بِضِحْكَتِهِ حَدَّ التَّنَازُلِ عَنْ عِبْءِ سِنِّكَ وَاللَّعِبِ مَعَهُ فِي الشَّارِعِ.

آهَتَانِ وَصَرْخَةٌ

(1)

يَضِيعُ نِصْفُ العُمْرِ اِنْتِظَارًا، وَالآخَرُ يُنْهِكُهُ لِقَاءٌ غَيْرُ مُكْتَمِلٍ!

(2)

لَيْسَ ذَنْبًا أَنَّ لِي ظُلْمَةً مُوحِشَةً، فَلِلْقَمَرِ عَتَمَةٌ أَكْبَرُ؛ وَيَتَغَزَّلُ بِهِ العَالَمُ كُلُّهُ!

إِنْ غَابَتْ شَمْسُكِ بَهَتَ كُلِّي، وَصِرْتُ قِطْعَةَ فَحْمٍ؛ دُخَّانُهَا يَحْكِي هَزِيمَتَهَا.

(3)

فَوْقَ سُرْعَةِ الصَّوْتِ صُرَاخُ أَلَمِي يُدَوِّي. / مَرَايَا الكَلِمَاتِ تَتَحَطَّمُ تِبَاعًا. / لَا أَرَى مُفْرَدَاتِ نَصِّي القَادِمِ.

فِكْرَتَانِ

(1)

رُغْمَ أَنِّي أَسْتَجْدِي الحَرْفَ قَائِلًا: مُتْعَبٌ جِدًّا؛ هَا هِيَ فِكْرَةُ نَصٍّ تَرْفُسُ رِئَتِي وَأَنَا أَتَنَفَّسُ خَيْبَتِي لِأُجْهِضَهَا، وَتُقَاوِمُنِي حَدَّ إِيلَامِي تَبْحَثُ عَنْ عَتَبَةِ خُرُوجٍ!

(2)

أَحْتَاجُ قَلْبًا ثَانِيًا لِأُحِبَّكِ بِهِ أَكْثَرَ عِنْدَمَا يُتْعِبُ قَلْبِي عِتَابُكِ.

أَحَادِيثُ الحُزْنِ

عِيدٌ لِلْحُزْنِ

(1)

يَطْرُقُ بَابِي يَمْنَحُنِي أُمْنِيَةً خَائِفَةً مِنَ اليُتْمِ، وَيَرْحَلُ.

يَا عِيدُ دَاخِلِي مُثْقَلٌ بِالأُمْنِيَاتِ!!

(2)

بَسْكُوتُ العِيدِ، اِحْتِفَالَاتِي البَاهِتَةُ، أَحْرُفٌ تَتَرَاقَصُ فِي المَكَانِ، وَأُخْرَى تَكْتُبُنِي.. كَمْ فِكْرَةً تُصَارِعُ الصَّمْتَ؟ كَمْ نَصًّا يَغْلِي دَاخِلِي؟ كَمْ مُعَايَدَةً بَارِدَةً تُشْبِهُ سِجِلَّ الحُضُورِ لِلْغَائِبِينَ طَوَالَ السَّنَةِ تَجْعَلُ مِنَ المَلَلِ سَيِّدَ اللَّحْظَةِ؟!

كَمْ مَسَافَةً تَبْعُدُ بَيْنِي وَبَيْنَ وَجْنَتِهَا الَّتِي أُرِيدُ تَقْبِيلَهَا كَيْ أَسْتَعِيدَ بَهْجَتِي؟ مَا كَمُّ البُنِّ الَّذِي يَلِيقُ أَنْ أَضَعَهُ فِي فِنْجَانِي لِأَسْتَعِيدَ كُلَّ وَعْيِي؟ كَمْ مِلْعَقَةَ سُكَّرٍ أَتَجَاوَزُ بِهَا مَرَارَةَ مُجَامَلَةٍ تَزِيدُ المَسَافَةَ بَيْنِي وَبَيْنَ الغَائِبِ؟

كَمْ نَشْرَةَ أَخْبَارٍ تَمْضِي لِتَأْتِي الَّتِي تُعْلِنُ أَنْ لَا حَرْبَ وَلَا خَدِيعَةَ وَلَا خِلَافَ بَيْنَ الإِخْوَةِ؟

لَا عِيدَ لِي وَهُنَاكَ أَلْفُ أَلْفِ نَازِفٍ وَأَلْفُ أَلْفِ عَيْنٍ تَبْكِي!

مَهْلًا أَيُّهَا الـ ... فَلَمْ يَعُدْ هُنَاكَ شَيْءٌ يُعْجِبُنِي!

وَجَعٌ يُشْبِهُنِي / فِي وَطَنٍ آخَرَ

فِي رِسَالَتِهِ الأُولَى رَسَمَ اعْتِرَافَهُ بِخَجَلٍ، ثُمَّ مَزَّقَ الرِّسَالَةَ.

تَدَفَّقَ فِي الثَّانِيَةِ مُتَأَجِّجَ اللَّهْفَةِ، فَرَسَمَهَا كَمَا تَشْتَهِيهِ رُوحُهُ، ثُمَّ اسْتَمَعَ إِلَى قَصَائِدِ دَرْوِيشَ، وَإِلَى أَخْبَارِ حَرَائِقِ الأَرْضِ؛ فَانْتَقَلَتِ النِّيرَانُ إِلَى رُوحِهِ ثُمَّ إِلَى رَسَائِلِهِ.

ثَارَ فَجْأَةً، وَأَخْرَجَ وَرَقَةً بَيْضَاءَ؛ وَرَسَمَ فِيهَا خَرِيطَةَ الوَطَنِ، ثُمَّ كَتَبَ لَهَا: «لَا أَلِيقُ بِكِ حَتَّى أَعُودَ بِوَطَنٍ يَلِيقُ بِأَمْنِكِ وَعُشِّنَا».

فِي ذِكْرَى دَرْوِيشَ؛ كُلُّ لَحْظَةِ حُبٍّ عَالِقَةٌ لَا تَعْرِفُ طَرِيقًا لِلْاِكْتِمَالِ.

خُرُوجٌ اضْطِرَارِيٌّ

رُحْتُ أَتَعَثَّرُ خَارِجًا مِنْ غُرْفَتِي إِلَى سَاحَةِ البَيْتِ، أَفْرُكُ عَيْنَيَّ كَيْ أَسْتَمِدَّ بَعْضَ الضِّيَاءِ لِأَرَى طَرِيقِي.

أَمْسَكْتُ مَقْبَضَ البَابِ وَرُحْتُ أَفْتَحُهُ فَإِذَا بِمَنْ يُعِيدُ صَدَّهُ. رُحْتُ أُقْبِلُ عَلَى فَتْحِهِ مَرَّةً أُخْرَى وَالآخَرُ أَصَرَّ أَنْ يَشُدَّهُ بِتَهَوُّرٍ. غَضِبْتُ وَشَدَدْتُ البَابَ: مَنْ ذَا الَّذِي يَعْبَثُ مَعِي؟

كَادَتْ تَقْتَلِعُنِي الرِّيحُ مِنْ جُذُورِ ثَبَاتِي، وَأَصَابَنِي المَشْهَدُ بِالذُّهُولِ: أَهَذِهِ رَقْصَةُ زُورْبَا أَمْ وَدَاعُ الشِّتَاءِ وَرَقَصَاتُهُ الأَخِيرَةُ مَعَ الرَّبِيعِ؟

قَالَتْ / وَقُلْتُ

(1)

عَلَى كُورْنِيشِ النِّيلِ انْبَعَثَتْ مِنَ المِيَاهِ المُعَانِقَةِ لِلْأَنْوَارِ اللَّيْلِيَّةِ السَّاحِرَةِ، وَتَشَكَّلَتْ أَمَامِي بِكُلِّ بَهَائِهَا وَحُسْنِهَا، وَقَالَتْ لِي بَعْدَ آهَةٍ امْتَزَجَ فِيهَا الشَّوْقُ وَالعِتَابُ: مَتَى نَلْتَقِي كَيْ نَخْطِفَ مِنَ الزَّمَنِ المُثْقَلِ بِالوَجَعِ فَصْلَنَا المُعْتَقَلَ، وَنُكْمِلَ حِكَايَتَنَا؟

(2)

فِي غِيَابِكِ؛ الشَّمْسُ لَا تَكُونُ بِخَيْرٍ! تَأْتِي مُكْتَئِبَةً مُتَلَفِّتَةً.

دُونَكِ؛ مِنْ أَيْنَ تَأْتِي بِإِبْهَارِهَا وَإِشْعَاعَاتِهَا؟

انْتِظَارٌ يَائِسٌ

(1)

سَاعَةٌ كَامِلَةٌ وُقُوفًا.. كُنْتُ أَنتَظِرُكِ بِيَأْسٍ وَدَاخِلِي يَكَادُ يَلْمَسُ اليَقِينَ أَنَّكِ لَنْ تَأْتِي. مَا يَزِيدُ عَنْ نِصْفِ سَنَةٍ وَأَنْتِ تُمَارِسِينَ دَلَالَكِ، وَتَحْضُرِينَ حَسْبَ مَا يَقْتَضِيهِ مِزَاجُكِ؛ لَا حَاجَتِي إِلَيْكِ.

أَهُوَ انْتِقَامُكِ مِنْ انْسِحَابَيْنِ مُتَتَالِيَيْنِ فِي رِوَايَتَيْنِ كُنْتِ الحَاضِرَةَ فِيهَا بِرُوحِكِ وَعَاطِفَتِكِ الكَامِلَةِ؟ أَهُوَ العَبَثُ بِمَا تَبَقَّى مِنْ رُوحِي المُبَعْثَرَةِ فِي هَذَا الشَّارِعِ وَأَنَا لَا أَعْرِفُ إِلَى أَيْنَ أُرِيدُ أَنْ تَكُونَ وِجْهَتِي؟

آهٍ!! مَا أَبْشَعَ وَجَعًا تُحِسُّهُ وَهُوَ يَمْنَعُكَ مِنَ الخَطْوِ مِئَةَ مِتْرٍ فِي اتِّجَاهٍ قَرَّرْتَهُ مُنْذُ البَدْءِ، وَيَمْنَعُكَ مِنْ وِجْهَةٍ عَكْسِيَّةٍ، وَيَمْنَعُكَ مِنَ دُخُولِ الشَّارِعِ الجَانِبِيِّ كَيْ تَفِرَّ بِنَفْسِكَ مِنَ الوُجُوهِ الشَّاحِبَةِ، وَصَخَبِ السَّيَّارَاتِ، وَصَخَبِ الأَنْفَاسِ المُثْقَلَةِ بِالوَجَعِ بِمَقَادِيرَ مُتَبَايِنَةٍ، وَبِعَنَاوِينَ مُخْتَلِفَةٍ هِيَ الأُخْرَى!

تَوَرَّمَتْ قَدَمَايَ، وَتَشَقَّقَتْ شَفَتَايَ، وَنَزَفَتْ مَشَاعِرِي فِي مُفْتَرَقٍ أَرَادَ أَنْ يَتَشَكَّلَ مِثْلَ التَّشَتُّتِ دَاخِلِي.. كُلَّمَا شَكَّلْتُكِ أَمَامِي بَخَّرَتْكِ أَشِعَّةُ الشَّمْسِ.

أَخْبِرِينِي بِاللهِ عَلَيْكِ؛ أَأَرْحَلُ أَمْ أَنتَظِرُ؟ فَلَمْ أَعُدْ أَعِي مَا عَلَيَّ فِعْلُهُ!

(2)

كُلُّ العَنَاوِينِ سَقَطَتْ مَرَّةً وَاحِدَةً؛ حَيْثُ لَا وِجْهَةً لَدَيَّ الآنَ حَدَّ التَّعَبِ. مَرْمِيٌّ عَلَى كُرْسِيِّ اسْمَنْتِيٍّ بَائِسٍ فِي مَكَانٍ لَا أَعِي أَيْنَ هُوَ، وَجَلِيسِي صَمْتٌ يَتَسَلَّطُ عَلَى تَفَاصِيلِ الرُّوحِ المُنْهَكَةِ؛ يُعْجِزُنِي عَنِ الكَلَامِ وَعَنِ الحَرَكَةِ، وَيُغَذِّي رَغْبَةً عَمِيقَةً فِي لَيْلَةٍ لِاعْتِزَالِ العَالَمِ بَحْثًا عَنِّي فِي نَصٍّ عَالِقٍ يَصْرُخُ: أَكْمِلْنِي، أَكْمِلْنِي...

كَمْ مُؤْلِمٌ أَنْ تُعَلِّقَ أَمَانِيكَ عَلَى غُصْنِ شَجَرَةٍ بِحُجَّةِ اسْتِحْمَامِهَا بِأَشِعَّةِ الشَّمْسِ، وَتَغْفُو عَنْهَا لِتَعْجِنَ حُلْمًا جَدِيدًا؛ فَتَسْتَيْقِظَ عَلَى أُغْنِيَةِ رِيحٍ صَاخِبَةٍ تَعْبَثُ بِكَ. وَتَرْكُضُ وَلَا تُسْعِفُكَ الخُطَى، وَتَتَعَثَّرُ بِوَجَعٍ مَسْكُوتٍ عَنْهُ؛ يَشُدُّكَ مِنْ كُلِّ أَطْرَافِكَ، وَيَصْرُخُ النَّصُّ فِي وَجْهِكَ: لَا تُضَيِّعْنِي كَتِلْكَ الأَمَانِي، أَكْمِلْنِي، أَكْمِلْنِي...

يَجْلِسُ بِجِوَارِي طِفْلٌ فِي الثَّانِيَةِ؛ يَبْتَسِمُ لِي بِكُلِّ مَا تَحْتَوِيهِ رُوحُهُ مِنْ بَرَاءَةٍ وَلَا أُبَادِلُهُ شَيْئًا. لِأَوَّلِ مَرَّةٍ أَعْجَزُ عَنِ التَّفَاعُلِ مَعَ ابْتِسَامَاتِ الأَطْفَالِ. مَسَحْتُ عَلَى شَعْرِهِ اعْتِذَارًا، وَبَكَيْتُ فَوْقَ العَادَةِ، فَرَّ مِنِّي إِلَى حُضْنِ أُمِّهِ، فَطَأْطَأْتُ رَأْسِي وَجَعًا.

رَفَعَ بَصَرِي صَوْتُ النَّصِّ يَصْرُخُ: أَكْمِلْنِي.. أَكْمِلْنِي..

(3)

كَمْ وَجْهًا مَرَّ مِنْ هُنَا؛ يُحَاوِلُ اقْتِبَاسَ مَلَامِحِكِ مِنْ إِشْعَاعَاتِ رُوحِي المُبَعْثَرَةِ بَحْثًا عَنْكِ؟

مُتْعَبٌ أَنَا مِنْ كَمِّ الانْتِظَارِ وَسْطَ هَذِهِ المِئَاتِ مِنَ الوُجُوهِ الحَاضِرَةِ وَمِثْلِهَا مِنَ الرَّاحِلَةِ، وَأَنَا فِي مَكَانٍ فَقَدَ الأَسْمَاءَ كَمَا فَقَدْتُ عُنْوَانَ نَصِّي، وَتَرَكْتُهُ كَشَارِعٍ مُكْتَظٍّ بِلَا أَسْمَاءٍ وَبِلَا أَرْقَامٍ، وَلَا يَعْرِفُ الغُرَبَاءُ دَلَالَاتِ الوُصُولِ إِلَى المَعْنَى، وَالمُقَرَّبُونَ رَحَلُوا بِأَغْرَاضِهِمْ وَأَرْقَامِهِمْ، وَبَقِيتُ عَارِيًا مِنَ الأَنَا، فَقَدْ عَبَثُوا بِالأَسْمَاءِ وَالصُّوَرِ.

هَلْ مِنَ المُمْكِنِ أَنْ تَأْتِي؟ أَمْ يَسْتَمِرُّ الانْتِظَارُ؟ هَلْ تَأْتِينَ وَتَقِفِينَ قُرْبِي مُتَأَمِّلَةً تِلْكَ الفَوْضَى وَشَتَاتَ الأَنَا لِتَتَيَقَّنِي مِنْ وَجَعِي وَتَرْحَلِينَ كَمَا رَحَلُوا؟ هَلْ يُمْكِنُنِي التَّعَرُّفُ عَلَيْكِ وَأَنَا لَا أَذْكُرُ مِنْكِ إِلَّا تَرَدُّدَاتِ صَوْتِكِ وَأُسْلُوبَكِ الخِطَابِيَّ لِدَاخِلِي؟

لَا تَعْتَمِدِي عَلَى الصُّورَةِ؛ فَكَثِيرًا مَا خَذَلَتْنِي فِي جُلِّ اللِّقَاءَاتِ المَاضِيَةِ، فَأَنَا لَا أُحْسِنُ اسْتِرْجَاعَ الصُّوَرِ المَحْرُوقَةِ وَالمُمَزَّقَةِ لِلرَّاحِلِينَ.

كَمْ بَقِيَ مِنَ الزَّمَنِ فِي سَاعَتِكِ لِتَأْتِي؟ لَا زَمَنَ فِي مَدِينَتِي! نِصْفُ ذَاكِرَةٍ لَا يُمْكِنُهَا تَوْفِيرُ الصُّوَرِ وَالأَسْمَاءِ بِشَكْلٍ كَافٍ لِلِقَاءٍ دَامَ انْتِظَارُهُ عُمْرًا لَا أَعْرِفُ نِسْبِيَّةَ امْتِدَادِهِ. شَوْقُ دَقِيقَةٍ قَدْ يُسَاوِي امْتِدَادَ سَاعَةٍ أَوْ امْتِدَادَ يَوْمٍ! كَذَلِكَ الوَجَعُ! فَوَجَعُ دَقِيقَةٍ بَعْضُهُ يُصْبِحُ وَجَعَ عُمْرٍ!

أَلْتَفِتُ يَمِينِي فَأَرَى شَجَرَةً –تَصْرُخُ بِوَجَعٍ– تَحْتَضِنُ السُّورَ المَعْدَنِيَّ، وَتَتَلَوَّنُ بِلَوْنِهِ هُرُوبًا مِنْ اغْتِيَالِهَا الكُلِّيِّ. جِذْعُهَا الثَّانِي –نِصْفُهَا الثَّانِي– مَبْتُورٌ بِقَسْوَةٍ، وَأَغْصَانُهَا مَكْسُورَةٌ كَأَغْصَانِ أَحْلَامٍ، وَوَرَقُهَا مَعْدُومٌ كَابْتِسَامَاتٍ فَقَدْتُ جَدْوَاهَا.

هَلْ تُصَارِعُ لِأَجْلِ أَمَدٍ أَطْوَلَ فِي الحَيَاةِ؟ أَمْ أَنَّهَا تَحْتَضِرُ؟ هَلْ تَنْتَظِرُ مِثْلِي مَنْ يُعِيدُ لَهَا خُضْرَتَهَا وَصَخَبَهَا وَانْدِفَاعَهَا إِلَى الأَعْلَى؟ أَمْ يَئِسَتْ مِنْ كُلِّ الحَاضِرِينَ وَالرَّاحِلِينَ؟ هَلْ تَنْتَظِرُكِ مِثْلِي؟ أَمْ تَنْتَظِرُكِ مَعِي؟

تَقَدَّمْتُ إِلَيْهَا بِرَعْشَةِ جَسَدٍ وَرَعْشَةِ حُلْمٍ وَرَعْشَةِ رَغْبَةٍ فِي اللِّقَاءِ. رَأَيْتُ بَيْنَ كُلِّ انْكِسَارَاتِهَا غُصْنًا مُتَفَتِّحًا يُقَاوِمُ، وَكَأَنَّهَا تَقُولُ لِي: اصْنَعْ فَرَحَكَ مِنْ دَاخِلِكَ؛ لَا تَنْتَظِرْهُ مِنَ الخَارِجِ! بَكَيْتُ أَمَامَهَا، وَقُلْتُ: وَمَا يَصْنَعُ الفَرَحُ وَحْدَهُ وَمَعَاوِلُ الاغْتِرَابِ وَالوِحْدَةِ وَالانْتِظَارِ تَحْصُدُهُ؟!

**

بَكَتْ وَتَعَلَّقَتْ بِالسُّورِ أَكْثَرَ. لَامَسْتُهَا فَارْتَعَشَتْ كَرَعْشَةِ حَبِيبَةٍ تُرِيدُ عِنَاقِي عَلَى قَصِيدَةٍ عَابِرَةٍ، وَتَخَافُ امْتِدَادَ لَعْنَةِ مَدِينَتِي الَّتِي تَمْنَحُنِي مَزِيدًا مِنَ الوَجَعِ.

تَرَاجَعْتُ وَكَتَبْتُ الصُّوَرَ حَرْفًا خَشْيَةَ أَنْ أَفْقِدَهَا؛ فَأَنَا مِنْ عَادَتِي لَا أُحْسِنُ الاحْتِفَاظَ بِالصُّوَرِ.

ارْتَعَشَ القَلَمُ فَوْقَ الكُرَّاسَةِ، وَارْتَعَشَتِ الكُرَّاسَةُ فِي لَحْظَةِ مِيلَادِ نَصٍّ يَحْمِلُ شَيْئًا مِنْ وَجَعِي، ثُمَّ تَأَمَّلْتُ سُؤَالَ الذَّاتِ: أَأَرْحَلُ أَمْ أَنْتَظِرُ؟!

(4)

وَأَخِيرًا أَتَيْتِ، لَكِنْ بِنَكْهَةِ مَطَرِ الخَمِيسِ القَرِيبِ الَّذِي اخْتَطَفَ حَبِيبًا غَالِيًا عَلَيْنَا. كُنْتُ أَسِيرُ تَحْتَ المَطَرِ بِانْتِشَاءِ العَاشِقِ كَكُلِّ مَرَّةٍ؛ لَكِنَّ بُرُودَةً مُخِيفَةً فِيهِ أَلْزَمَتْنِي الهُرُوبَ. هَرَبْتُ مِنَ المَطَرِ خَوْفًا تَشَكَّلَ فِي أَقَلَّ مِنْ نِصْفِ سَاعَةٍ فِي صُورَةِ نَعْيٍ كَسَرَ كُلَّ ابْتِسَامَةٍ دَاخِلِي.

هَا أَنْتِ أَتَيْتِ بِنَكْهَةِ المَطَرِ الخَمِيسِيِّ! أَتَحْمِلِينَ رَحِيلًا آخَرَ؟ أَمْ تُنْبِئِينَ بِمَلَامِحَ عَنْهُ؟ رُوحِي مُرْهَقَةٌ فَوْقَ حَدِّ التَّحَمُّلِ!

كَمْ مُوجِعٌ أَلَّا تَقْدِرَ عَلَى الوُقُوفِ، وَلَا عَلَى السَّيْرِ، وَلَا عَلَى الجُلُوسِ، وَتَضِيقُ بِكَ الأَمَاكِنُ حَدَّ الصُّرَاخِ بِلَا صَوْتٍ، وَحَدَّ البُكَاءِ بِلَا دُمُوعٍ، وَحَدَّ المَوْتِ بِلَا خُرُوجِ رُوحٍ تَسْبَحُ فِي مَلَكُوتِ العَالَمِ الآخَرِ!

أَيَتُهَا الَّتِي تَسْكُنُنِي؛ أَهِيَ مُقَدِّمَةُ رَحِيلِكِ مِنْ كُتُبِي، وَمِنْ نُصُوصِي؟ أَمْ هِيَ انْتِكَاسَةٌ جَدِيدَةٌ؛ تَبْحَثُ عَنْ رَفٍّ فِي خِزَانَةِ ذَاكِرَتِي المُعَبَّأَةِ بِالخَيْبَةِ بِالقُرْبِ مِنْ مُغَلَّفٍ صَغِيرٍ مُهْمَلٍ كَعَزَاءٍ لِابْتِسَامَةٍ تُقَاوِمُ فُصُولَ السَّنَةِ؟

وَجَعُ الأَمَاكِنِ

(1)

سَائِرًا أَتَعَرَّفُ عَلَى الشَّارِعِ غَرِيبًا عَنْهُ رُغْمَ سَنَوَاتٍ مِنَ اللِّقَاءَاتِ. هَا هِيَ سَمَّاعَةُ أُذُنِ هَاتِفِي أَضْبِطُهَا بَيْنَ المَرَّةِ وَالأُخْرَى؛ كَأَنِّي أَتَحَرَّى نَقَاءَ الصَّوْتِ. لَا شَيْءَ أَسْمَعُهُ خَارِجَ جُمْجُمَتِي. كُلُّ مَا فِي الأَمْرِ أَنِّي أُحَاوِلُ سَمَاعَ نَفْسِي وَأَنَا أُرَاقِبُ خَطَوَاتِي المُتْعَبَةَ.

مَرَّ زَمَنٌ عَمِيقٌ لَمْ أَجْلِسْ إِلَيْهَا هَذِهِ الأَنَا الَّتِي تُشَاطِرُنِي الهَوَاءَ وَالمَاءَ وَالرَّغْبَةَ، وَأُهْمِلُهَا إِيثَارًا وَتَغْفِرُ لِي كَرَمًا. أُحَاوِلُ البَوْحَ لَهَا بِكَمِّ العِبْءِ دَاخِلِي، وَتُحَاوِلُ أَنْ تَسْتَمِيلَنِي لِاعْتِرَافَاتٍ تُخْرِجُنِي مِنْ مِزَاجِي السَّيِّءِ.

أَنْفَاسِي تَتَقَطَّعُ؛ تُحَارِبُ هَذِهِ الأُلْفَةَ، وَخَفَقَاتُ قَلْبِي لَا تُسْعِفُنِي. سَقَطَ... سَقَطَ... سَقَطَتْ أَشْيَائِي، أَوْرَاقِي... آهٍ!! كَانَتْ أَوَّلَ كَلِمَةٍ أَرَاهَا؛ تِلْكَ الَّتِي عَجَزَتْ أَحْبَالِي الصَّوْتِيَّةُ أَنْ تُحَرِّرَهَا وَهِيَ تُحَارِبُ لِكَسْبِ هَوَاءٍ مُضَادٍّ لِاخْتِنَاقِي، وَانْعَكَسَتْ حَرْفًا مَسْكُوبًا بِالصُّورَةِ وَالأَثَرِ.

مَنَحَتْنِي (الأَنَا) يَدَهَا فِي ظِلِّ أَسَفٍ عَابِرٍ فِي الوُجُوهِ دُونَ مُوَاسَاةٍ حَقِيقِيَّةٍ، وَاسْتَجْمَعْتُ مَا تَبَقَّى مِنْ قُوَّةٍ لِأَقِفَ.

سُؤَالٌ ارْتَسَمَ فِي المَكَانِ: أَتَخْذُلُنِي قُوَّتِي لِأَتَجَنَّبَ سُقُوطًا كَهَذَا؟ أَبَلَغَ بِي التَّعَبُ هَذِهِ الدَّرَجَةَ المُخِيفَةَ؟

(2)

كَيْفَ لِمَدِينَةٍ أَنْ تَمْنَحَنِي الحُبَّ وَالكَرَاهِيَةَ فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ؟ مَعَ شُرُوقِ أَوَّلِ أَمْسِ الْتَقَيْتُهَا. كَانَتْ تَمْنَحُنِي لَوْحَاتٍ مِنَ الجَمَالِ وَالحُبِّ بِنَكْهَةِ المَطَرِ. / وَعِنْدَ لَحَظَاتِ المَشْيِ فِي أَرْصِفَةِ الشَّوَارِعِ كَانَتْ تُزِيحُ الغَيْمَ يُمْنَةً وَيُسْرَةً كَيْ لَا تُبَلِّلَنِي؛ لِأَنَّهَا أَدْرَكَتْ شُحَّ احْتِيَاطَاتِي لِمَطَرٍ عَاصِفٍ بِجَسَدِي، وَمَعَ كُلِّ تَوَاجُدٍ تَحْتَ سَقْفٍ مَا لِحَافِلَةٍ أَوْ بِنَايَةٍ كَانَتْ تَسْتَدْعِي المَطَرَ بِمِقْدَارِ بَقَائِي، ثُمَّ تُمَارِسُ عَطْفَهَا مُجَدَّدًا.

مَارَسَتْ كُلَّ أَسْبَابِ اسْتِبْقَائِي رُغْمَ احْتِيَاجِي لِلرَّحِيلِ، ثُمَّ أَلْزَمَتْنِي سَفَرًا لَيْلِيًّا إِلَى اتِّجَاهٍ مُخْتَلِفٍ عَنْ وِجْهَةِ البِدَايَةِ لِأَعُودَ إِلَيْهَا صَبَاحَ أَمْسٍ؛ لِأَجِدَهَا تَمْنَحُنِي صُوَرَ الرَّبِيعِ فِي غَيْرِ مَوْسِمِهِ، وَعِنْدَمَا رُحْتُ أُقَاوِمُ إِغْرَاءَاتِهَا رَمَتْ فِي طَرِيقِي عَثْرَةً لِتُسْقِطَنِي. / أَتَغَارُ هَذِهِ المَدِينَةُ مِنْ إِغْوَاءِ مَدِينَةٍ أُخْرَى؟ أَتُؤْذِينِي غَيْرَةً مِنْ أُخْرَى؟ كَانَتْ تَبْتَزُّنِي لِبَقَاءٍ إِضَافِيٍّ، وَأَنَا كُنْتُ أَجْمَعُ شَتَاتِي المُتْعَبَ لِأَرْحَلَ رُغْمَ كُلِّ الوَجَعِ.

أَلَمِي الآنَ يَشْتَدُّ حَدَّ الصُّرَاخِ وَيُؤَرِّقُنِي. مَا هُوَ بِمِيعَادٍ لِلْأَلَمِ وُكُلُّ لَحْظَةٍ تَسْتَدْعِي أَنْ أَكُونَ بِخَيْرٍ!

(3)

تَتَنَكَّرُ لِي الشَّوَارِعُ. أُحَدِّثُهَا، فَلَا تُعِيدُ لِي صَدَى قَدَمِي.

تَغَلَّفَ المَكَانُ صَمْتًا يَتَّسِعُ دَاخِلِي ضَجَرًا.

يُتْمٌ فَادِحٌ يُفْقِدُنِي رَغْبَةَ البَقَاءِ.

أَسْأَلُنِي: مَنْ أَنَا؟

«لَسْتُ بِخَيْرٍ»

هِيَ جُمْلَةٌ أُرِيدُ إِعْرَابَهَا خَارِجَ نِطَاقِ الجُمْلَةِ الاِسْمِيَّةِ، وَخَارِجَ كْلَاسِيكِيَّاتِ المَعْنَى!

– ذَاكَ الأَوَّلُ فِعْلٌ مَعْتُوهٌ نَاقِصٌ مُتَحَجِّرٌ رَجْعِيٌّ مَاضَوِيٌّ مُتَطَفِّلٌ عَلَى اللَّحْظَةِ الحَاضِرَةِ، مُعْتَقِلٌ مَا يُشْبِهُ الأَنَا فِي الدَّلَالَةِ لِيُنَغِّصَ حَاضِرَهُ وَبَعْضَ آتِيهِ، وَهُوَ مَبْنِيٌّ عَلَى انْتِكَاسَةٍ مِنْ انْتِكَاسَاتِ ذَاكِرَةٍ.

– وَذَاكَ الضَّمِيرُ المُتَّصِلُ المُتَشَبِّثُ خَوْفًا مِنَ الاقْتِرَابِ مِنْ حَافَّةٍ تُحَاصِرُ تَرَاكُمَاتِ انْهِيَارَاتٍ دَاخِلِيَّةٍ اسْمٌ أَسِيرٌ يُعَانِدُ انْكِسَارَهُ بِهَامَةٍ مَرْفُوعَةٍ، وَعَلَامَةُ رَفْعِهِ كِذْبَةٌ عَلَى الحَقِيقَةِ، فَجَسَدُهُ مُثْقَلٌ حَدَّ الانْحِنَاءِ تَعَبًا وَدُوَارًا، خَائِرُ القِوَى، وَرُكْبَتَاهُ نَالَتْ مِنْ أَلَمِ التَّعَثُّرَاتِ مَا نَالَتْ حَدَّ الصُّرَاخِ.

– كَيْفَ لَا يَخَافُ وَحَرْفُ الخَدِيعَةِ أَمَامَهُ يَكْسِرُ المَعْنَى وَالسِّيَاقَ وَالحُلْمَ الَّذِي يَزْرَعُهُ فِي الأُغْنِيَاتِ الَّتِي فَقَدَتْ بَعْضَ لَحْنِهَا مِنْ هُبُوبِ الرِّيحِ.

– تَتَشَبَّثُ أَدَاةُ الجَزْمِ المَشْهُودِ بِجَسَدِ فَرَحٍ مَجْرُورٍ كَمُعْتَقَلٍ يَنْتَظِرُ وَيْلَاتِ مُحَاكَمَةِ الصَّرْفِ وَالإِعْرَابِ وَعَلَامَةُ جَرِّهِ كَسْرَتَانِ فِي الصُّورَةِ وَالعَاطِفَةِ.

فَلْتَحْتَرِقْ ذَاكِرَتِي

(1)

لَيْتَهَا تَحْتَرِقُ ذَاكِرَتِي كَمَا أَصْنَعُ بِنُصُوصِي أَيَّامَ الهَزِيمَةِ، وَلَيْتَهَا تَلْفَحُنِي شَمْسُ غَدٍ لَا أَعْرِفُ مَاهِيَّتَهَا وَلَا أَعْرِفُ مَنْ أَنَا فِي مَكَانٍ لَا أَجِدُ فِيهِ إِلَّا الأَنَا المَسْكُونَةَ بِالوَجَعِ؛ وَقَدْ زَالَ عَنْهَا عِبْءُ سَنَوَاتِ الاغْتِرَابِ، فَأَبْتَسِمُ وَأَحْتَضِنُ نَفْسِي وَأَصْرُخُ: مَرْحَبًا بِي! وَأَجْلِسُ أَتَعَرَّفُ عَلَى نَفْسِي، وَأَنْطَلِقُ مِنْ جَدِيدٍ.

(2)

سَأَخْتَرِقُ الحَوَاجِزَ لِتَحْرِيرِ مِسَاحَاتٍ خَطَفَهَا الوَجَعُ، وَسَأَجْتَاحُ نِصْفِيَ المُظْلِمَ لِلتَّخَلُّصِ مِنْ سُمِّيَةِ المَاضِي.

لِلْمَوْتِ أَكْتُبُ

(فْلَاشْ بَاكْ) / أَنَا وَكَفَنٌ لِلْمَوْتِ

أَلَيْسَ مِنَ السُّخْرِيَةِ أَنْ أَحْمِلَ فِي دَاخِلِي رَغْبَةً مُلِحَّةً لِلْكِتَابَةِ عَنِ المَوْتِ فِي الوَقْتِ ذَاتِهِ أَحْمِلُ مَعِي قِصَصَ (عَبْدِ الرَّزَّاقِ بُوكُبَّةَ): (كَفَنٌ لِلْمَوْتِ)، وَأَسْتَقِلُ بَاصًا مَجْنُونًا قِنْصُلًا لِلْمَوْتِ، وَأَسْمَعُ مَقْطُوعَةً يُنَاجِي فِيهَا أُمَّهُ أَمِيرُ أُغْنِيَةِ الرَّايِ (الشَّابُ حَسْنِي) الرَّاحِلُ عَنَّا بِرَصَاصَةٍ مُرْسَلَةٍ بِالمَوْتِ؟!

كَمْ كَفَنًا لِلْمَوْتِ أَحْتَاجُ وَأَنْتَ تَزُورُنِي فِي كُلِّ رَغْبَةٍ لِلْكِتَابَةِ؟! كَمْ مَوْتًا سَتَصْنَعُهُ بِي وَأَنَا المَأْسُورُ بِقَدَرِيَّةِ الفَنَاءِ؟!

ابْتَسَمَ المَوْتُ لِأَوَّلِ مَرَّةٍ. ابْتَسَمْتُ لَهُ أَدَّعِي الشَّجَاعَةَ كَمُحَارِبٍ يَنْتَظِرُ طَعْنَةً حَاسِمَةً وَكُلُّ أَمَلِهِ أَنْ يُمَارِسَ كِبْرِيَاءَهُ الأَخِيرَ لِيَسْخَرَ مِنْ كُلِّ أَوْجَاعِهِ، وَيُقَابِلَ بِبُطُولَةٍ هَذَا الخَصْمَ العَنِيدَ.

قَالَ لِي وَهُوَ يَرْبِتُ عَلَى كَتِفِ النَّصِّ؛ فَانْسَابَ بَيْنَ يَدَيَّ كَمَا الرَّعْشَةُ فِي جَسَدِي: «يَكْفِينِي أَنِّي أَجِدُنِي هَذَا المَسَاءَ فِي نَصِّكَ، وَأَجِدُنِي فِي مَقْطُوعَةِ (سَاعَةٌ فِي بُوزْفِيلْ) لِلْمَايِسْتْرُو الدُّكْتُورِ (عَلِيْ عُثْمَانْ الحَاجْ) فِي أُمْسِيَةِ تَأْبِينِهِ فِي دَارِ الأُوبِرَا.

يَكْفِينِي أَنَّكَ لَنْ تُقَاوِمَنِي وَذِكْرَيَاتُكَ مَعَهُ تَنْسَابُ كَحَرْفِكَ هَذَا، وَتَبْكِيهِ كَمَا لَمْ تَبْكِ صَدِيقًا مِنْ قَبْلُ. هَذِهِ أُمْسِيَةٌ شَرَفِيَّةٌ لِي؛ تُعْزَفُ فِيهَا المُوسِيقَا الكْلَاسِيكِيَّةُ بِكُلِّ عُذُوبَتِهَا وَعَالَمِيَّتِهَا أَلْحَانًا لِرُوحِ أَحَاطَتْهَا لَمْسَتِي.

تَمَتَّعْ بِأُمْسِيَتِكَ، اقْرَأْ لِبُوكُبَّةَ نُصُوصَهُ لِتُوقِدَ كَثِيرًا مِنَ الشُّمُوعِ لِطَرِيقِكَ، وَاسْتَمْتِعْ بِكُلِّ مَا يُعْزَفُ فَهُوَ لِي، لِي أَنَا.

وَلَا أَنْسَى أَنْ أَقُولَ لَكَ: كَمْ جَمِيلٌ أَنْ تَغْتَسِلَ غُسْلًا كَامِلًا فِي كُلِّ خُرُوجٍ وَأَنْتَ تَسْتَحْضِرُنِي دَاخِلَكَ بِعُمْقٍ! وَكَمْ جَمِيلٌ أَنْ تَتَنَازَلَ هَذِهِ الأُمْسِيَةَ عَنْ عِطْرِكَ المُفَضَّلِ وَتَكْتَفِي بِرَشَّاتِ مِسْكٍ، وَتَتَكَفَّنَ بِثَوْبِكَ النَّقِيِّ قِطْعَةً قِطْعَةً، وَتَنْظُرَ النَّظْرَةَ الأَخِيرَةَ فِي مِرْآتِكَ قَبْلَ الخُرُوجِ مُبَاشَرَةً!

جَمِيلٌ أَنْ يَنْظُرَ الوَاحِدُ مِنْكُمْ إِلَى نَفْسِهِ نَظْرَةَ مُوَدِّعٍ! أُحِبُّ فِيكَ هَذَا الوَفَاءَ.

أَخِيرًا، وَلَيْسَ آخِرًا؛ هَنِيئًا لِي بِنَصِّكَ، هَنِيئًا لِي بِانْتِصَارِي، اُكْتُبْ لِي أَنَا، عَنِّي أَنَا، اُكْتُبْ بِلَا تَوَقُّفٍ، اُكْتُبْ لِلْمَوْتِ».

لَيْلَةٌ مَعَ مَيِّتٍ

جَمَعَنَا كُرْسِيٌّ وَاحِدٌ فِي مَحَطَّةِ انْتِظَارٍ بِاتِّجَاهَيْنِ مُخْتَلِفَيْنِ. / كَانَ يَسْتَنِدُ عَلَى عُكَّازِهِ، وَكُنْتُ أَسْتَنِدُ عَلَى كَتِيرٍ مِنْ أَحْلَامِي. / كَانَ يَبْتَسِمُ لِي بِعُمْقٍ، وَكُنْتُ أُخْفِي دَاخِلِي كَثِيرًا مِنَ الوَجَعِ. / كَانَ يُحَدِّثُنِي بِابْتِسَامَةٍ وَبِكَلَامٍ لَا أَذْكُرُ مِنْهُ حَرْفًا، وَكَانَ كُلُّ هَمِّي كَيْفَ أَتَخَلَّصُ مِنْ يَدِهِ الَّتِي كَانَتْ عَلَى كَتِفِي، وَكَيْفَ أَتَخَلَّصُ مِنَ العَجْزِ عَنِ الحَرَاكِ.

كَانَ يُلَمِّحُ لِي أَحْيَانًا وَيُصَرِّحُ أَحْيَانًا؛ يُرِيدُنِي أَنْ أَذْهَبَ مَعَهُ، كَأَنَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَقُولَ لِي: إِلَى مَتَى تَرَى نَفْسَكَ تَمُوتُ تَدْرِيجِيًّا وَبِيَدِكَ أَنْ تَتَخَلَّصَ مِنْ كُلِّ أَوْجَاعِكَ؟ هَا هِيَ فُرْصَتُكَ! وَهَا هِيَ مَحَطَّتُكَ لِلْخَلَاصِ! كَانَ مُلِحًّا، وَكَانَ هَذَا مُتْعِبًا لِي.

افْتَكَكْتُ نَفْسِي مِنْهُ فِي آخِرِ لَحْظَةٍ صَارِخًا: مَا زَالَتْ أَحْلَامٌ مَتَرَاكِمَةٌ فِي ذَاكِرَتِي لَمْ أُحَقِّقْهَا، أَمَّا المَوْتُ الَّذِي نَشْرَبُ مِنْ كَأْسِهِ كُلَّ يَوْمٍ فَقَدَرٌ آخَرُ.

اسْتَيْقَظْتُ فَزِعًا مُرْهَقًا. / جَسَدِي الآنَ مُنْهَكٌ؛ وَكَأَنِّي ضُرِبْتُ بِعُنْفٍ. / أَنَا لَا أَقْوَى عَلَى الحَرَكَةِ.

رِسَالَةٌ مِنَ المَوْتِ

أَيُّهَا البَاحِثُ عَنِ الحَقِيقَةِ؛ أَنَا أَوَّلُ حَلْقَةٍ فِي الحَقِيقَةِ المُطْلَقَةِ، فَلَا تَتَجَاهَلْ رَسَائِلِي. حُلْمُكَ الَّذِي أَيْقَظَكَ مَذْعُورًا لَيْسَ هَاجِسًا عَابِرًا؛ إِنَّهُ مَشْرُوعُ نَصٍّ يَجِبُ أَنْ تَكْتُبَهُ.

أَلَا تَذْكُرُ مَا حَدَثَ لَكَ البَارِحَةَ وَأَنْتَ عَائِدٌ بِنِصْفِ إِنْسَانٍ وَبِنِصْفِ حُلْمٍ وَبِابْتِسَامَةٍ مُصْطَنَعَةٍ؟ أَلَا تَذْكُرُ تَعَثُّرَاتِكَ وَأَنْفَاسَكَ المُخْتَنِقَةَ وَأَنْتَ لَا تَدْرِي أَيْنَ أَنْتَ؟ أَلَا تَذْكُرُ ارْتِطَامَكَ بِالعَمُودِ الاسْمَنْتِيِّ، وَانْزِلَاقَ قَدَمِكَ مِنَ البَاصِ؟ كُنْتُ أُمْسِكُ أَنْفَاسَكَ وَرُوحَكَ كَيْ أُثْبِتَ لَكَ أَنَّكَ فَانٍ وَلَا تَقْوَى عَلَى مُقَاوَمَتِي!

مُحَادَثَتُكَ النَّاسَ بِإِشَارَةٍ مُرْهَقَةٍ وَصَوْتٍ خَطَفْتُهُ مِنْكَ دَلَائِلُ أُخْرَى. تِلْكَ الضَّبَابِيَّةُ فِي الرُّؤَى وَالرُّؤْيَةِ كُنْتُ فِيهَا أَكُفُّ بَصَرَكَ عَمَّا حَوْلَكَ لِأُثْبِتَ وِحْدَتَكَ العَمِيقَةَ.

أَنْتَ بَائِسٌ هُنَا؛ فَلِمَ تُعَانِدُ وَتَكْتُبُ عَنْ فَرَحٍ يَنْتَزِعُهُ مِنْكَ مَنْ تُحِبُّهُمْ؟!

اُكْتُبْ عَنِ الحَقِيقَةِ الثَّابِتَةِ: عَنْ فَنَائِكَ وَفَنَاءِ مَنْ حَوْلَكَ... اُكْتُبْ عَنْ كُلِّ تِلْكَ الرُّؤَى الَّتِي أَزْرَعُهَا فِي عَقْلِكَ البَاطِنِ حُلْمَ نَوْمٍ أَوْ تَخَيُّلَاتِ يَقَظَةٍ... اُكْتُبْ عَنِّي أَنَا؛ فَأَنَا القَارِئُ الأَكْثَرُ نَهَمًا لِكِتَابَاتِكَ، وَأَنَا الَّذِي سَأَحْتَوِي كُلَّ أَوْجَاعِكَ.

الحَيَاةُ كِذْبَةٌ، والمَوْتُ هُوَ الحَقِيقَةُ... اُكْتُبْ لِلْحَقِيقَةِ... اُكْتُبْ لِلْمَوْتِ...

أَنَا وَالمَوْتُ / لِقَاءٌ آخَرُ

رَاحَ يَزْرَعُ فِي مِرْآةِ المَنَامِ صُوَرَ الرَّاحِلِينَ.

فِي مَشْهَدِ ذُعْرٍ أَوَّلَ /

كُنْتُ أَسْأَلُهُمْ بِقَلَقٍ عَنْ آخِرِ تَفْجِيرٍ. كَانُوا يَبْتَعِدُونَ عَنِّي دُونَ حَدِيثٍ. قَالَ لِي أَحَدُهُمْ كَأَنَّهُ يُشْفِقُ عَلَيَّ: ثِقْ بِمَدِينَةِ الشُّمُوخِ أَنَّهَا صَامِدَةٌ. اِسْأَلْ —فَقَطْ— عَنْ أَحِبَّائِكَ وَحَسْبُ، فَالوَاقِفُ هُنَاكَ لَا يُمْهِلُكُمْ قَدْرَ كَلِمَةٍ. اِسْأَلْ عَمَّنْ تُحِبُّ قَبْلَ الرَّحِيلِ.

كُنْتُ أَتَفَحَّصُ دَلِيلَ هَاتِفِي وَأَتَّصِلُ بِبَعْضِهِم بِرَعْشَةِ خَوْفٍ، أَقُولُ لَهُمْ: لَسْتُ بِخَيْرٍ، أُرِيدُ رُؤْيَتَكُمْ، أُرِيدُ بَعْضًا مِنَ اللَّحَظَاتِ الجَامِعَةِ بَيْنَنَا.

فِي مَحَطَّةِ انْتِظَارٍ رَأَيْتُ طِفْلَةً فِي العَاشِرَةِ شَقَّقَ البُؤْسُ مَلَامِحَ فَرَحِهَا رُغْمَ طُفُولَتِهَا. كَانَتْ تَسْأَلُنِي عَنْ مَكَانِ الصَّائِغِ، وَهَمَسَتْ لِي أَنَّ لَهَا أُمًّا مُتْعَبَةً وَلَا تَمْلِكُ شَيْئًا لِلْعِلَاجِ، وَتَوَدُّ بَيْعَ قِطْعَةِ ذَهَبِهَا الوَحِيدَةِ، فَقُلْتُ لَهَا: هُوَ هُنَاكَ فِي طَرِيقِكِ شِمَالًا، لَكِنْ؛ انْتَبِهِي لِسَيْرِكِ.

تَدَارَكْتُ تَوْجِيهِي فَنَادَيْتُهَا، وَرَكَضْتُ خَلْفَهَا. تَمَنَّيْتُ لَوْ كَانَ بِإِمْكَانِي أَنْ أَمْنَعَهَا مِنْ بَيْعِ ذِكْرَاهَا الوَحِيدَةِ: قِطْعَتِهَا الذَّهَبِيَّةِ البَائِسَةِ المُتَلَحِّفَةِ بِبَقَايَا الفَرَحِ الَّذِي أَثْمَرَ هَذِهِ الفَتَاةَ الرَّقِيقَةَ.

جَثَوْتُ عَلَى رُكْبَتَيَّ، وَقُلْتُ لَهَا: لَا تَذْهَبِي إِلَى هَذَا الصَّائِغِ، هُوَ يَقْتَطِعُ مَا لَيْسَ لَهُ فِيهِ حَقٌّ بِحُجَجٍ وَاهِيَةٍ، وَلَنْ يُعْطِيكِ حَقَّكِ كَامِلًا. اذْهَبِي إِلَى قَلْبِ البَلْدَةِ؛ هُنَاكَ تُجَّارُ مُجَوْهَرَاتٍ أَرْحَمُ مِنْ هَذَا، وَذَكَّرْتُهَا بِقِيمَةِ الذَّهَبِ، وَقَبَّلْتُ جَبِينَهَا.

ذَكَّرَتْنِي ابْتِسَامَتُهَا بِطِفْلَةٍ اسْمُهَا (شَهْدُ) فِي الثَّالِثَةِ مِنْ عُمْرِهَا كَانَتْ تَتَوَدَّدُ إِلَيَّ بِابْتِسَامَتِهَا البَرِيئَةِ؛ فَأَهْدَيْتُهَا قِطَعًا مِنَ الحَلْوَى، وَتَمَنَّيْتُ ابْنَةً مِثْلَهَا فِي أَوَّلِ أُمْنِيَةٍ أَنْ تَكُونَ لِي بِنْتٌ فِي رِقَّتِهَا.

رَحَلَتْ بِنْتُ العَاشِرَةِ مُخَلِّفَةً وَجَعًا آخَرَ يُذَكِّرُنِي بِكَمِّ البُؤْسِ الَّذِي يَسْلِبُنَا نَكْهَةَ الفَرَحِ مِنْ أَقْدَاحِ اللَّحْظَةِ المَمْلُوءَةِ بِالضَّحِكِ! ضِحْكَاتٌ تَتَعَرَّى تَحْتَهَا أَحْزَانٌ عَاهِرَةٌ كَيْ تُلْزِمَكَ الكَفَّ عَنِ الابْتِسَامِ لِمُدَارَاةِ ذَاكَ العُرْيِ المَاجِنِ الَّذِي يَزْرَعُهُ الحُزْنُ فِي ذَاكِرَتِنَا.

***

مَشْهَدُ ذُعْرٍ ثَانٍ /

سَيِّدٌ بِلَوْنِ البَيَاضِ المُدْهِشِ يَتَرَبَّعُ عَلَى قِمَّةِ كَقَنَّاصٍ لِلْأَرْوَاحِ؛ يَنْزِلُ بِكُلِّ هَيْبَتِهِ لِيَمْلَأَ غُرْفَتِي البَائِسَةَ بِوِحْدَةٍ عَمِيقَةٍ. غُرْفَةُ إِنْعَاشٍ صَارَتْ غُرْفَتِي وَهُوَ يُمْسِكُ أَنْفَاسِي؛ يَقْبِضُهَا مَرَّةً حَدَّ الانْقِطَاعِ، وَيَدْفَعُهَا حَتَّى يَهْتَزَّ قَلْبِي مِنْ دَقَّةِ الدَّمِ المَحْبُوسِ.

تَتَكَرَّرُ الحَرَكَةُ حَدَّ العَبَثِ بِمَنَامِي الَّذِي لَمْ يُكْمِلِ سَاعَتَيْنِ. ثُمَّ؛ وَدُفْعَةً وَاحِدَةً؛ يَدُسُّ الوَجَعَ فِي جَسَدِي حَدَّ الصُّرَاخِ.

أَرْمِي بِمَا تَدَثَّرْتُ بِهِ لِأَجْمَعَ شَتَاتَ جَسَدِي، وَأَفِرَّ مِنَ الغُرْفَةِ إِلَى الصَّالَةِ؛ أَجْمَعُ شَتَاتَ رُوحِي فِي أَنْفَاسٍ تَكَادُ تُعْلِنُ نِهَايَةً وَشِيكَةً. / لَمْ أَعُدْ إِلَى غُرْفَتِي إِلَّا بَعْدَ أَنْ أَنْهَكَنِي الأَلَمُ، ثُمَّ تَرَكَنِي أَزِنُ حَجْمَ ثِقَلِ التَّعَبِ المُخَلَّفِ فِي سَاقَيَّ المُتَوَرِّمَتَيْنِ كَذَاكَ الحَمَّالِ (أَبِي بَطَّةَ).

لِلْمَوْتِ أَكْتُبُ مُجَدَّدًا، فَهَلْ يَقُودُنِي هَذَا أَنْ أُهْدِيهِ كِتَابًا؟!

حِوَارُ النَّارِ

نِصْفُ الحُقُولِ احْتَرَقَتْ دَاخِلِي.

سَأَلْتُ النَّارَ: مِنْ أَيْنَ تَأْتِينَ بِهَذَا التَّأَجُّجِ دَاخِلِي؟

قَالَتْ: مِنْ كَمِّ الخَيْبَةِ دَاخِلَكَ، وَمِنْ كَمِّ الوَجَعِ الَّذِي يَزِيدُنِي قُوَّةً وَانْتِشَاءً بِإِبَادَةِ الأَلْوَانِ وَإِحَالَتِهَا إِلَى رَمَادٍ: لَوْنِ الهَزِيمَةِ المُكْتَمِلِ، وَهَذِهِ المُوسِيقَا الصَّاخِبَةُ الَّتِي تَتَحَدَّى بِهَا تَشَتُّتَكَ أَمَامَ سَيْطَرَتِي تَزِيدُنِي مُتْعَةً بِحَرْقِكَ، وَوِحْدَتُكَ هَذِهِ تُلْغِي كَثِيرًا مِنْ مُقَاوَمَاتٍ أَهَابُهَا.

أَنَا أُكْمِلُ مُهِمَّةَ حُزْنِكَ الَّذِي أَصْبَحَ نُكْهَتَكَ الغَالِبَةَ فِي الكِتَابَةِ وَالقِرَاءَةِ وَالاسْتِمَاعِ، وَأُقَدِّمُ الكَثِيرَ لِلْمَوْتِ كَيْ يَفْتِكَ بِكَ.

أَلَمْ تَقُلْ إِنَّكَ تَكْتُبُ لِلْمَوْتِ نُصُوصًا تَلِيقُ بِهِ؟! أَنَا أَفْعَلُ مِثْلَكَ؛ أَصْنَعُ مَشَاهِدَ تَلِيقُ بِالمَوْتِ. لِلْمَوْتِ أَصْنَعُ حَرَائِقَ الأَلْوَانِ، وَبِقَلَمِكَ الأَسْوَدِ المُحَاكِي لِلرَّمَادِ الَّذِي أُخَلِّفُهُ اُكْتُبْ لِلْمَوْتِ، فَالمَوْتُ تَلِيقُ بِهِ كُلُّ النِّهَايَاتِ.

إِلَى المَوْتِ

أَشْتَهِي كِتَابَةَ نَصٍّ عَمِيقٍ؛ أُهْدِيهِ حَصْرًا إِلَى المَوْتِ.

فِي ذِكْرَى صَدِيقٍ

يَا صَدِيقِي كَمْ أَنْتَ قَاسٍ! رَحَلْتَ عَنِّي، وَأَخَذْتَ مَا تَبَقَّى مِنْ فَرَحٍ. كَيْفَ تَجْرُؤُ يَا صَدِيقِي عَلَى الاسْتِسْلَامِ لِمَوْتِكَ دُونِي؟ أَتَذْكُرُ أَحْلَامَ الطُّفُولَةِ؟ أَتَذْكُرُ تِلْكَ الرَّحَلَاتِ الَّتِي كَتَبْنَاهَا أَحْلَامًا بَيْنَ أَشْجَارِ الصَّنَوْبَرِ؛ ثُمَّ تُجْهِزُ عَلَى كِتَابَاتِي بِقَسْوَتِكَ؟ لِمَ أَنْتَ قَاسٍ؟ لِمَ تَسْتَمِرُّ قَسْوَتُكَ عَلَيَّ؟

أَتَذْكُرُ مُبَارَيَاتِ الكُرَةِ وَفَوْزَكَ الدَّائِمَ؟ أَتَذْكُرُ يَوْمَ مَنَحْتَنِي فَوْزًا وَحِيدًا مُجَامَلَةً قَاسِيَةً بِمِقَصِّيَةٍ سَاحِرَةٍ كَمَا كُنْتَ تَصْنَعُ؟ كُنْتُ أَفْشَلُ فِيهَا دَوْمًا وَعِنْدَمَا نَجَحْتُ فِيهَا أُصِبْتُ إِصَابَةً خَطِيرَةً دُونَ أَنْ أُحَقِّقَ النَّصْرَ الكَامِلَ! أَتَذْكُرُ ذَاكَ الحَادِثَ الفَادِحَ فِي الطَّرِيقِ السَّرِيعِ؟ أَتَذَكَّرُ أَنَّكَ دَفَعْتَ نَفْسَكَ؛ كَيْ لَا أَمُوتَ وبُتِرَتْ قَدَمُكَ! أَلَا تَرَى هَذَا قَسْوَةً؛ حَيْثُ تَمْنَحُنِي فُرْصَةً لِلْحَيَاةِ وَتَعِيشُ أَنْتَ بِنِصْفِ عُمْرٍ، وَبِنِصْفِ حُلْمٍ، وَلَا نَتَبَارَى مُجَدَّدًا فِي الكُرَةِ كَيْ لَا أَهْزِمَكَ؟!

تُمَارِسُ قَسْوَتَكَ مُجَدَّدًا فِي رِسَالَةٍ خِطَابِيَّةٍ عَمِيقَةٍ؛ تُهَنِّئُنِي فِيهَا بِنَشْرِ رِوَايَتَيْنِ دُفْعَةً وَاحِدَةً، وَتُلْزِمُنِي تَحْتَ أَيِّ سَبَبٍ أَلَّا أُغَيِّرَ مِنْ صُورَةِ (بْرُوفَايْلِي) عَلَى (الفَايْسْبُوكْ)، وَتُلْزِمُنِي أَنْ أَتَمَالَكَ نَفْسِي وَأَنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ طَاقَتِي تَكَادُ تَنْفَدُ، وَتَكْتُبُ إِهْدَاءَكَ لِذَاتِكَ بِجُمَلٍ تَنْزِفُ لَهَا رُوحِي، وَتُلْزِمُنِي أَنْ أَكْتُبَهُ عَلَى رِوَايَةٍ مِنْ رِوَايَاتِي لِذَاكِرَةٍ لَا تَنْتَهِي إِلَّا بِمَوْتِي، ثُمَّ تُخْبِرُنِي بِذَاكَ الوَرَمِ الخَبِيثِ الَّذِي أَكْمَلَ مِقْصَلَةَ الحَادِثَةِ، وَأَجْهَزَ عَلَى سَاقِكَ وَعُمْرِكَ، وَتَرَكَنِي بِلَا فَرَحٍ.

كَيْفَ أُقَابِلُ –ابْتِدَاءً مِنْ غَدٍ– مَنْ يَنْتَظِرُونَ ابْتِسَامَاتِي تَحْتَ وَهْجِ الإِضَاءَةِ وَالتَّبْرِيكَاتِ؟ كَيْفَ تَمُوتُ دُونِي يَا صَدِيقِي؟ أَنْتَ قَاسٍ، وَقَسْوَتُكَ هَذِهِ سَتَحْرِقُ مَوَاسِمَ الفَرَحِ كُلَّهَا، وَلَنْ أَقْبَلَ فِي وَفَاتِكَ تَعْزِيَةً؛ فَلَنْ يُبْهِجَنِي بَعْدَ رَحِيلِكَ شَيْءٌ.

وَجَعٌ عَلَى هَامِشِ الحَيَاةِ

مَشْهَدٌ أَوَّلٌ /

انْهِيَارٌ مُفَاجِئٌ فِي بُورْصَةِ الحَيَاةِ: أَسْهُمُ الفَرَحِ تَمْتَنِعُ عَنِ التَّدَاوُلِ، وَأَسْهُمُ الابْتِسَامَةِ تَسْقُطُ إِلَى أَدْنَى دَرَجَاتِهَا.

مَشْهَدٌ ثَانٍ /

وَجْهٌ أَكَادُ أَعْرِفُهُ يَهْمِسُ لِي: «جَمِيلَةٌ عَادَتُكَ وَأَنْتَ تَغْتَسِلُ غُسْلًا كَامِلًا عِنْدَ كُلِّ سَفَرٍ! أَتَيْتُ لِأَقُولَ لَكَ إِنِّي الأَقْرَبُ لَكَ مِنْ غَيْرِكَ، وَهَذَا لَكَ؛ فَلَا تَنْسَهُ».

كَانَ كَفَنًا نَاصِعَ البَيَاضِ يَتَشَكَّلُ عَلَى مَقَاسِ خَيْبَتِي؛ يَتَلَحَّفُنِي، وَيَسْحَبُ مِنِّي كُلَّ طَاقَتِي.

مَشْهَدٌ ثَالِثٌ /

تَوَجَّهْتُ إِلَى مَحَطَّةِ المِتْرُو، دَخَلْتُ مِنْ بَوَّابَةٍ مَا، وَتُهْتُ فِي مَمَرَّاتِ المَكَانِ حَتَّى وَجَدْتُنِي خَارِجًا مِنْ اتِّجَاهٍ آخَرَ. كُبُومٍ كَانَ يَنْفِرُ مِنْ أَنَانِي مَنْ مَرُّوا بِي كَمَا نَفَرُوا مِنْ شُحُوبِي وَعُبُوسِي. مِنْ غَيْرِ هُدًى؛ كُنْتُ أَرْتَطِمُ بِالجُدْرَانِ الصَمَّاءِ، وَكَانَ النُّورُ يُوجِعُنِي حَتَّى أَكَادُ لَا أَرَى.

أَغْمَضْتُ عَيْنَيَّ لِأُدْرِكَ غَايَتِي.

مَشْهَدٌ رَابِعٌ /

عِنْدَمَا وَصَلْتُ إِلَى المَكَانِ الصَّحِيحِ كُنْتُ أَتَفَكَّكُ مِنْ تَمَاسُكِي فَتَقَعُ سَاقَيَّ؛ فَيَقَعُ جَسَدِي كُلُّهُ. انْتَظَرْتُ مُشَرَّدَ الحُلْمِ لَحَظَاتٍ بَائِسَةً؛ رَأَيْتُ فِيهَا وُجُوهًا تَرْفَعُ عَزَاءَهَا بِصَمْتٍ وَتَتَوَارَى.

فْلَاشْ بَاكْ /

تَذَكَّرْتُ أُغُسْطُسَ 2005. لَحَظَاتٌ مُمَاثِلَةٌ وَعَزَاءٌ مُتَوَاصِلٌ وَأَنَا الحَيُّ المَيِّتُ. هَلْ كَانَ مُتَوَقَّعًا أَنْ أَعِيشَ هَذِهِ اللَّحْظَةَ؛ وَلَمْ يَكُنْ ذَاكَ الصَّبَاحُ آخِرَ شَيْءٍ يَذْكُرُهُ المَارُّونَ فِي حَيَاةِ تَتَنَكَّرُ لِصَاحِبِهَا؟

عَوْدَةُ شَيْءٍ مِنَ الوَعْيِ /

لِمَ تَجْحَدُنِي المَسَافَاتُ حَقِّي فِي القُرْبَى؟

قَالَتْ لِي: تُوجِعُنِي أَنَّاتُكَ.

قُلْتُ لَهَا دُونَ كَامِلِ وَعْيٍ: عِنْدَمَا أَمُوتُ فَلَكِ غَيْرِي، وَعِنْدَمَا أَمُوتُ لَا أَحَدَ لِي غَيْرِي؛ فَلَا تُكَابِرِي.

فِي الصَّبَاحِ التَّالِي حَمَلْتُ وَرْدَةً لِأَضَعَهَا فِي المَكَانِ ذَاتِهِ الَّذِي سَقَطْتُ فِيهِ؛ أُعَزِّي نَفْسِي بَعْضَ الَّذِي مَاتَ.

نَشْرَةٌ جَوِّيَةٌ

هَذَا المَسَاءَ: رِيَاحٌ شَمَالِيَّةٌ شَرْقِيَّةٌ مُتَفَاوِتَةُ السُّرْعَةِ. / مُنْخَفَضٌ جَوِّيٌّ يَتَنَقَّلُ كَوَرَمٍ فِي الرُّوحِ. / السِّبَاحَةُ فِي المَدَى مَمْنُوعَةٌ وَالاقْتِرَابُ مِنْ سَوَاحِلِي مَمْنُوعٌ. / الحَرَارَةُ صِفْرٌ. / عَاصِفَةٌ تَعْبَثُ بِالرُّوحِ!

لَنْ تَنْفَعَ أَثْوَابُ الصُّوفِ فِي اقْتِلَاعِ سَيْطَرَةِ البَرْدِ. / وَلَنْ تَنْفَعَ الأَسْقُفُ المُسَلَّحَةُ مِنْ سَيْطَرَةِ الوَجَعِ. / وَلَنْ تَنْفَعَ أَكْوَابُ الشَّايِ السَّاخِنَةِ فِي إِزَالَةِ تَشَقُّقَاتِ الشِّفَاهِ العَطْشَى لِلْفَرَحِ!

لَنْ تَنْفَعَ (مُتَتَابِعَةُ شَهْرَزَادَ) فِي إِثَارَةِ المُتْعَةِ دَاخِلِي، فَهِيَ مَقْطُوعَةٌ أُخْرَى لِصَخَبِ العَاصِفَةِ.

كَمْ أَكْرَهُ نَشَرَاتِ الطَّقْسِ الَّتِي تَتْرُكُ الرُّؤْيَةَ ضَبَابِيَّةً حَوْلَ الآتِي!

زِلْزَالٌ عَلَى سُلَّمِ الوَجَعِ

صَفَائِحُ جُمْجُمَتِي تَصَدَّعَتْ، وَتَعَالَتِ النُّوَاحَاتُ وَأَنْبَاءُ الخَطَرِ.

هَزَّاتٌ ارْتِدَادِيَّةٌ فِي قَلْبِي. / فِي رِئَتِي. / فِي كَامِلِ أَحْشَائِي. كُلُّ مِفْصَلٍ يَئِنُّ، وَأَنَا الشَّرِيدُ هَذَا الصَّبَاحَ بِلَا وَطَنٍ؛ عَارِيًا تَحْتَ المَطَرِ.

حَصِيلَةٌ أَوَّلِيَّةٌ: مَوْتٌ يُلَوِّنُ المَكَانَ بِالأَسْوَدِ، وَأُمْنِيَاتٌ فِي غُرَفِ الإِنْعَاشِ.

جِهَةٌ مُقَرَّبَةٌ تَسْتَنْكِرُ الحَصِيلَةَ وَتُفَنِّدُ جَانِبًا كَبِيرًا مِنَ الخَبَرِ.

أَكْتَفِي بِالصَّمْتِ رَدًّا، وَأَنْشَغِلُ بِوَقْفِ نَزْفِي وَدَفْنِ أُمْنِيَاتِي الشَّهِيدَةِ، ثُمَّ أُعْلِنُ الحِدَادَ ثَلَاثًا، وَأُصَلِّي رَجَاءً؛ عَلَّهُ يَتَرَمَّمُ بَعْضُ الَّذِي انْكَسَرَ.

صَرَخَاتٌ ارْتِدَادِيَّةٌ

(1)

صَرَخْتُ مَرَّةً وَلَمْ أَجِدْ مُصْغِيًا، فَتَتَالَتِ الصَّرَخَاتُ الارْتِدَادِيَّةُ فِي اتِّجَاهٍ عَكْسِيٍّ. / كَمْ مُتْعَبٌ قَلْبِي مِنْ تَصَدُّعَاتِ الرُّوحِ! وَكَمْ مُنْهَكَةٌ مَدِينَتِي مِنْ طَمْسِ مَعَالَمِهَا!

(2)

بَعْضُ مَشَارِيعِي عَلَى وَرَقِ مَكْتَبِي أَهْمَلْتُهَا مُنْذُ أَشْهُرٍ؛ عَاجِزٌ عَنْ تَجْسِيدِهَا حَدَّ النَّظَرِ فِي إِعْدَامِهَا إِشْفَاقًا. مُوجِعٌ أَنْ تَرَى أَرْوَاحًا تَئِنُّ بَيْنَ يَدَيْكَ وَلَا تَجِدُ السَّبِيلَ إِلَى مَنْحِهَا حَيَاةً لَائِقَةً.

اسْتَنْقَدَ العَجْزُ كُلَّ مُدَّخَرَاتِي مِنَ الفَرَحِ القَدِيمِ، وَلَمْ يَعُدْ بِإِمْكَانِي حَتَّى الصُّرَاخُ.

أَقْرِضِينِي شَيْئًا مِنَ الفَرَحِ، وَأَعِيدِي جَدْوَلَةَ مَدْيُونِيَّتِي الفَادِحَةِ، فَأَنَا مُفْلِسٌ حَدَّ المَوْتِ، وَخَزَائِنُ فَرَحِي تَئِنُّ مِنْ عَدَمِيَّةِ اللَّحَظَاتِ.

الفَرَحُ يَسْقُطُ كَأَوْرَاقِ شَجَرٍ

(1)

تَوَغَّلَ المَوْتُ دَاخِلِي وَبَدَأَ يَفْتِكُ بِقِوَايَ... كُنْتُ أُقَاوِمُ مَرَّةً وَأَقَعُ مَرَّةً... طَاقَتِي كَانَتْ تَسْتَنْفِدُهَا المُقَاوَمَةُ؛ فَكُنْتُ أَسْتَدْعِي كُلَّ أَحْلَامِي فِي لَحَظَاتٍ مُفَارَقَاتٍ جُزْئِيَّةٍ. كَانَتِ الحُمَّى تَعْصِفُ بِي حَدًّا كَادَ يَذْهَبُ بِي فِي هُجُومٍ عَنِيفٍ كَرَدَّةِ فِعْلٍ.

فِي مَشْهَدٍ مِنَ المُقَاوَمَةِ كُنْتُ أَنْتَزِعُ مَخَالِبَ المَوْتِ مِنِّي، فَخَرَجَ بِكُلِّ مَرَارَتِهِ الفَادِحَةِ فِي طَرِيقٍ عَكْسِيٍّ لِلتَّحَرُّرِ مِنْهُ؛ لِيُثْبِتَ لِي أَنَّهُ مَا زَالَ قَرِيبًا وَمَا زَالَ يَتَحَرَّشُ بِي، وَمَا زَالَ يَسْتَمْتِعُ بِالكِتَابَةِ لَهُ.

(2)

أُحَاوِلُ التَّبَسُّمَ وَلَا أَسْتَطِيعُ... الفَرَحُ يَسْقُطُ كَأَوْرَاقِ شَجَرٍ اسْتَهْلَكَتْ خُضْرَتَهَا شَمْسُ صَيْفٍ بَائِسَةٌ... خَرِيفٌ يَخْطِفُ الرُّوحَ مِنْ أَغْصَانِهَا... هَلْ مِنَ المُمْكِنِ أَنْ أَمُوتَ خَرِيفَ هَذَا العَامِ؟

عُزْلَةٌ

مُشَرَّدُونَ

(1)

غَرِيبًا يَفْتَرِشُ حَصَى الرَّصِيفِ، وَيَشُدُّ السُّحُبَ المُتَخَمَةَ كَيْ تُغَطِّيهِ بِدِفْئِهَا المُحْتَمَلِ. / هُوَ لَا يَصِلُ إِلَيْهَا. / تَصِلُهُ دُمُوعُهَا لِتَزِيدَهُ وَجَعًا فِي نَكْبَةِ الشِّتَاءِ!

(2)

عَلَى الرَّصِيفِ المُزْدَحِمِ لَا أَحَدَ كَانَ يَهْتَمُّ بِهَا.

سَبْعِينِيَّةٌ تَصِفُ مَلَامِحُهَا خَيْبَاتِ العَرَبِ أَجْمَعِهِمْ.

تَحْتَمِي بِحَائِطٍ يَبْصُقُ فِي وُجُوهِ المَارَّةِ: «جُنَيْهَاتُكُمْ لَا تَشْفَعُ!»

(3)

كِيسٌ مِنْ تُرَابٍ: عِنْدَمَا يَشْتَدُّ حَنِينُهُ يَفْرِشُهُ عَلَى طَاوِلَتِهِ لِيَرْسُمَ مَلَامِحَ الأَمَاكِنِ وَبَعْضَ السَّاكِنِينَ رُوحَهُ، وَعِنْدَمَا يَهْتَزُّ قَلْبُهُ يَغْسِلُ بِهِ وَجْهَهُ وَيَصْرُخُ: مُشْتَاقٌ.

مُتْعَبٌ

(1)

مُتْعَبٌ جِدًّا حَدَّا اهْتَرَأْتُ فِيهِ مِنْ صَدَإِ المَطْعُونِ بِهِ.

سَكَاكِينُ الخَيْبَةِ مَا زَالَتْ مَغْرُوسَةً فِي جَسَدِي، وَالطُّرُقُ إِلَيْكِ مُلَغَّمَةٌ.

(2)

أَحْتَاجُ لِحَالَةٍ مِنَ العُزْلَةِ وَالهُدُوءِ، فَأَنَا مُتْعَبٌ جِدًّا.

فِي هَذِهِ المِسَاحَةِ، وَبَيْنَ أَشْجَارِ الصَّنَوْبَرِ وَزَقْزَقَةِ العَصَافِيرِ وَهَدِيرِ المُحَرِّكَاتِ العَابِرَةِ؛ أَتَرَجَّلُ عَنْ كُلِّ صَهَوَاتِ الحُلْمِ لِأَجْلِسَ وَحِيدًا مَعَ ذَاتِي.

كَمَا الآنَ

(1)

كَمَا الآنَ؛ قَبْلَ ثَمَانٍ وَثَلَاثِينَ سَنَةً كُنْتُ أَتَكَوَّمُ حَوْلَ نَفْسِي جَزَعًا.

كَمَا الآنَ؛ كُنْتُ دَاخِلَ حَيِّزٍ مُظْلِمٍ أُوَاجِهُ الأَسْئِلَةَ الَّتِي تَذْبَحُنِي: مَنْ أَنَا؟ وَإِلَى أَيْنَ؟ وَلِمَاذَا؟ وَ...؟ ...؟ تِلْكَ الأَسْئِلَةُ الوُجُودِيَّةُ الَّتِي تَكْبُرُ كَوَرَمٍ كُلَّمَا عَبَثْتُ فِيهَا طَمَعًا أَنَّ الإِجَابَةَ وُصُولٌ؛ فَتَمْنَحُنِي مَزِيدًا مِنَ التِّيهِ وَالأَلَمِ وَالاغْتِرَابِ، وَتَتَّسِعُ أَكْثَرَ.

كَمَا الآنَ؛ كَانَ هُنَاكَ جِدَارٌ يَرْتَطِمُ بِهِ رَأْسِي عِنْدَمَا يُصِيبُنِي الدُّوَارُ، وَفَشَلُ تَقْدِيرِ المَسَافَاتِ.

كَمَا الآنَ؛ كُنْتُ أَرْكُلُ الجِدَارَ البَائِسَ انْتِقَامًا لِأَحْصُدَ أَلَمًا إِضَافِيًّا.

لَكِنْ لَيْسَ كَمَا الآنَ؛ كَانَ هُنَاكَ حَبْلٌ سُرِّيٌّ بَائِسٌ يَرْبِطُنِي إِلَى جِدَارِ عَذَابَاتِي، فَكَيْفَ لَوْ كَانَ كَمَا الآنَ وَوَعَيْتُ مَاهِيَتَهُ فَرَكَلْتُهُ بِكُلِّ وَجَعِ الثَّمَانِي وَالثَّلَاثِينَ سَنَةً وَمَا بَعْدَهَا، وَأَنْهَيْتُ صَدَى الأَسْئِلَةِ وَصَدَى الارْتِطَامِ وَهَذِهِ الظُّلْمَةَ المُحِيطَةَ بِي؟!

(2)

لَوْ تَرَاجَعَ الزَّمَنُ بِقَدْرِ عُمْرِي لَقَصَصْتُ ذَيْلَ تِلْكَ النُّطْفَةِ البَائِسَةِ المُتَطَفِّلَةِ، أَوْ لَفَجَّرْتُ تِلْكَ البُوَيْضَةَ الَّتِي احْتَوَتْنِي لِأَرَى عَالَمًا بِهَذَا البُؤْسِ.

مَنْ أَنَا؟ / مَنْ أَنْتَ؟

(1)

مَنْ أَنَا؟! سُؤَالٌ صَارَ يُتْعِبُنِي. مَتَى فَقَدْتُنِي؟! سُؤَالٌ شَطْرُهُ نُورٌ سَابِقُهُ، وَشَطْرُهُ الآخَرُ ظُلْمَةٌ مُمْتَدَّةٌ، بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لِشَتَاتٍ لَا حَصْرَ لَهُ.

إِنِّي مُتْعَبٌ!

(2)

– هَلْ لَنَا أَنْ نَتَحَدَّثَ؟ فَعِنْدَمَا أَرَاكَ تَلْبَسُ مَلَامِحِي يُرْعِبُنِي جَهْلِي الكَامِلُ بِكَ!

– أُدْرِكُ ذَلِكَ، فَأَنَا نِصْفُكَ المَوْجُوعُ؛ أَتَقَمَّصُكَ عِنْدَ كُلِّ شَهْقَةٍ لِغُرْبَتِكَ.

نِصْفُ لِقَاءٍ

(1)

أَعْرَجَ الخَطْوِ بِنِصْفِ ابْتِسَامَةٍ أَقْصِدُ وِجْهَتِي.

أَخْتَصِرُ زَمَنَ اللِّقَاءِ كَيْ لَا تَتَشَكَّلَ اعْتِرَافَاتُ خَيْبَتِي، فَتَنْتَقِمَ مِنِّي لَيْلًا وَتُلْزِمَنِي أَنْ أَسْمَعَ صَوْتَهَا حَتَّى الإِغْمَاءِ.

(2)

– ...

– حَدِيثُكِ المُخْتَصَرُ مُوجِعٌ أَكْثَرَ مِنْ صَمْتِكِ، وَحُضُورُكِ البَاهِتُ أَكْثَرُ رَدَاءَةً مِنْ غِيَابِكِ؛ فَلَا تَلُومِينِي عَلَى حَرْقِ ذَاكِرَتِي مَعَكِ! (يَسْتَمِرُّ صَمْتُهَا)

– شُكْرًا لَكِ لِأَجْلِ الجُرْعَةِ العَمِيقَةِ مِنَ الوَجَعِ الَّتِي غَرَزْتِهَا فِي جَسَدِي. لَكِنْ؛ لَا تَغْتَرِّي أَمَامَ هَذَا الجَسَدِ المُنْهَكِ دُونَ مُقَاوَمَةٍ؛ سَيَسْخَرُ مِنْكِ مَوْتِي يَوْمًا مَا. (يَسْتَمِرُّ صَمْتُهَا)

– أُصْرُخِي كَمَا شِئْتِ! صَمْتِي قُنْبُلَةٌ؛ فَتِيلُهَا بَدَأْتِ بِسَحْبِهِ. فَلَا تَبْكِي أَمَامَ تِلْكَ الشَّظَايَا المُتَنَاثِرَةِ، وَلَا أَمَامَ شَاشَاتِ التِّلْفَازِ أَوْ عَنَاوِينِ الجَرَائِدِ!

– ...

لَا، لَا، لَا... كَمْ مُرِيحَةٌ هَذِهِ اللَّا! إِنِّي أَتَنَفَّسُ جَيِّدًا الآنَ.

عِيدٌ لِلْغِيَابِ

(1)

عَالِقَةٌ أَحْرُفِي فِي شَهْقَةِ احْتِضَارٍ، وَأَنْتِ تُوَقِّعِينَ رَسَائِلَ الغِيَابِ، فَكَمْ مَرَّةً وُلِدْتُ لِأَمُوتَ بِقَسْوَةٍ هَكَذَا؟!

(2)

ابْتِسَامَاتِي لِأَجْلِكِ فَضَّتْ بَكَارَةَ الحُزْنِ فِي شَفَتِي، فَلَا تَسْخَرِي مِنْ وَجَعِي وَالنَّزِيفُ يَتَدَفَّقُ إِلَى رِئَتِي!

(3)

ابْتِسَامَتِي اليَوْمَ احْتِفَالِيَةُ وَجَعٍ فَلَا تُصَدِّقِي أَنَّهَا لَكِ!

(4)

وَلِأَنَّ صَمْتِي المَوْجُوعَ صَارَ مُلَغَّمًا بِالعِتَابِ سَأُعْلِنُ عِيدًا قَرِيبًا أُمَارِسُ فِيهِ كُلَّ أَلْوَانِ الغِيَابِ.

تَشْخِيصُ حَالَةٍ

/1

نِسْبَةُ السُّكَّرِ تَنْخَفِضُ بِشَكْلٍ فَادِحٍ! / ابْتِسَامَتُكِ الَّتِي تُحَاوِلِينَ بِهَا تَحْلِيَةَ اللَّحَظَاتِ لَا تَتَوَغَّلُ فِي دَمِي؛ فَكَفَاكِ تَهَكُّمًا عَلَى ذُبُولِي!

/2

أَتَهَاوَى! / الصُّرَاخُ لَمْ يَعُدْ مُجْدِيًا لِفَوْرَةِ دَمِي، وَانْهِيَارَاتِي الدَّاخِلِيَّةُ تُلْغِي وَعْيِي بِمَا يَحْدُثُ خَارِجَ جُمْجُمَتِي؛ فَكَفَاكِ صَخَبًا. / بَيَاضٌ مُخِيفٌ يَقْتَرِبُ!

/3

انْتَظَرْتُ سَاعَتَيْنِ بِلَا جَدْوَى! / أَتَانِي صَوْتُ الغُرُوبِ يُخْبِرُنِي أَنْ لَا شَيْءَ يَأْتِي بِهِ الظَّلَامُ، فَكُلُّ الاتِّجَاهَاتِ بَهَتَتْ فِي شَوَارِعَ تَرَصَّدَتْنِي بِتَوَاطُؤٍ فَزَعِي. / أَيْنَ أَنَا؟!

أُسْبُوعٌ لِلْكَذِبِ

1/ أَنَا بِخَيْرٍ

سَأَنْطَلِقُ فِي يَوْمِي بِكُلِّ تَفَاؤُلٍ، وَلِغَدٍ أَفْضَلَ؛ سَأَزْرَعُ الأَمَلَ فِي كُلِّ زَاوِيَةٍ مِنْ يَوْمِي.

2/ كِذْبَةُ الظَّهِيرَةِ

قَبْلَ اليَوْمِ؛ كَانَتِ الشَّمْسُ مَعِي أُنْثَى مَوْسِمِيَّةً تُدَاعِبُنِي صَبَاحًا، وَتَمْنَحُنِي الضَّجَرَ مُنْتَصَفَ النَّهَارِ، وَتَبْكِي مَسَاءً وَتَقُولُ: ابْقَ مَعِي وَهِيَ تَرْحَلُ، فَتُبْقِينِي سَاهِرًا.

بَعْدَ اليَوْمِ؛ لَنْ أَسْهَرَ انْتِظَارًا، وَلَنْ تَكُونَ الشَّمْسُ مَوْسِمِيَّةً، فَقَدْ صَالَحَتْنِي! / أَنَا بِخَيْرٍ؛ وَبِلَا ضَجَرٍ هَذِهِ الظَهِيرَةَ.

3/ كِذْبَةُ الغُرُوبِ

القَهْوَةُ حُلْوَةٌ؛ نَحْنُ مَنْ نَصْنَعُ مَرَارَتَهَا بِإِسْقَاطِ أَوْجَاعِنَا فِي تَفَاصِيلِهَا.

حَبَّةُ البُنِّ فَتَاةٌ سَمْرَاءُ بِكَامِلِ سِحْرِهَا.

4/ كِذْبَةُ مَا قَبْلَ مُنْتَصَفِ اللَّيْلِ

سَانْدِرِيلَّا وَعَدَتْنِي أَنْ تَعُودَ إِلَى رِوَايَتِي إِنْسِيَّةً بِكَامِلِ سِحْرِهَا، وَإِلَى حَدِّ الآنِ لَا أَمْلِكُ اسْمًا لَهَا.

5/ كِذْبَةُ مَا قَبْلَ السَّفَرِ

قَالَتْ لِي سَأَجْمَعُ أَمْتِعَتِي كُلَّهَا وَأَرْحَلُ مَعَكَ! وَبَعْدَ أَيَّامِ افْتِقَادٍ اتَّصَلَتْ بِي: تَأَخَّرْتَ عَنِّي، أَيْنَ أَنْتَ؟

6/ فِي مَحَطَّةِ البَاصِ

عَلَّقْتُ عَلَى عَقَارِبِ سَاعَاتِي القَادِمَةِ مَوَاعِيدَ لِلْفَرَحِ. / أَسْفَارِي أَعْيَادٌ قَادِمَةٌ.

صَوْتٌ يَئِنُّ... / أَوْرَاقِي المَدْسُوسَةُ فِي الحَقِيبَةِ تُكَذِّبُنِي.

7/ مُعَايَدَةٌ

كُلُّ سَنَةٍ تَمْضِي خَسَارَةٌ، فَلَنْ نَلْتَقِي أَكْثَرَ، وَلَنْ نُحِبَّ أَكْثَرَ، فَكَيْفَ لَنَا أَنْ نَحْتَفِلَ بِهَزِيمَةٍ تَقُودُنَا إِلَى الغِيَابِ؟

كَمْ كِذْبَةً نَعِيشُهَا كُلَّ يَوْمٍ؟

كِذْبَةٌ عَلَى هَامِشِ الرَّحِيلِ

– هَلْ أَنْتَ بِخَيْرٍ؟

– نَعَمْ.

–أَنْتَ تَكْذِبُ؟!

– نَعَمْ!

– وَلِمْ؟

– الوَاقِعُ مُتْعِبٌ!

– إِلَى مَتَى سَتَسْتَمِرُّ فِي الكَذِبِ؟

– حَتَّى أَنْتَصِرَ أَوْ أَمُوتَ وَأَنَا أُحَاوِلُ!

سَفَرٌ بِطَعْمِ المَوْتِ

الاتِّجَاهُ غَرْبًا

(1)

أَحْلَامِي تتَّسِعُ وَتَخْذُلُهَا الأَمَاكِنُ!

(2)

المِتْرُو توَغَّلَ فِي المَدِينَةِ.

الصَّمْتُ توَغَّلَ مِنَ المَدَى العَكْسِيِّ لِلْبَوْحِ.

حَادِثُ سَيْرٍ فَادِحٌ أَسْفَرَ عَنْ غُرْبَةٍ أَسْقَطَتْنِي فِي زَاوِيَةِ العَدَمِ.

(3)

فِي المَحَطَّةِ: تَذَاكِرُ لِلْغِيَابِ تَسْتَهْوِينِي، حَقِيبَةُ كَتِفٍ، رُزْمَةُ وَرَقٍ، أَقْلَامٌ، وَقَارِئٌ صَوْتِيٌّ، وَالوِجْهَةُ؟ لَا تَهُمُّ! فَأَنَا أَجِدُنِي حَيْثُ تَمْنَحُنِي الأَمَاكِنُ سَبَبًا لِلْكِتَابَةِ.

(4)

أَعْلَنَ الفَرَحُ حُضُورَهُ وَأَنَا أُمْسِكُ تَذْكِرَةَ السَّفَرِ، وَأَعْلَنَ الحُزْنُ تَوَاجُدَهُ وَأَنَا أَجْمَعُ أَغْرَاضِي وَبَعْضًا مِمَّا سَقَطَ مِنِّي.

رُحْتُ أَشْرَبُ نَخْبَ الفَرَحِ وَالحُزْنِ فِي كُوبٍ وَاحِدٍ!

(5)

كَمْ أَكْرَهُ رَحِيلًا يَقْتَلِعُنِي مِنِّي، وَيُفَكِّكُ رُوحِي حَدَّ التَشَظِّي!

(6)

غَرْبًا؛ أُطَارِدُ الشَّمْسَ، فَلَا أُرِيدُهَا أَنْ تَغِيبَ!

غَابَتْ كَثِيرٌ مِنْ مَلَامِحِي فِي المَرَايَا المَكْسُورَةِ!

مَا تَبَقَّى مِنْ خُيُوطِ الشَّمْسِ بَعْضُ عَزَائِي هَذَا اليَوْمَ.

مُنْذُ رَحَلَتِ الشَّمْسُ

(1)

أَنَا لَا أَرَى خُطْوَتِي! مُنْذُ رَحَلَتِ الشَّمْسُ اِسْتَعَنْتُ –بَدَلًا مِنْهَا– بِقِنْدِيلِي. / قِنْدِيلِي انْطَفَأَ حِينَ ابْتَعَدْتُ عَنْهُ أَسْتَأْنِسُ بِأُمْنِيَةٍ تُرَاقِصُنِي.

عِنْدَمَا صَفَعَتْنِي العَتَمَةُ لَمْ أَعْرِفْ أَيْنَ أَنَا، وَأَيَّ اتِّجَاهٍ أَقِفُ مُوَاجِهًا لَهُ، وَلَمْ أَعْرِفْ كَمْ خُطْوَةً أَبْعَدَتْنِي، فَتَكَوَّمْتُ حَوْلَ نَفْسِي أَرْتَعِشُ وَالأَسْئِلَةُ المُفَخَّخَةُ تُحَاصِرُنِي: هَلْ ...؟ وَهَلْ ...؟ وَرَاحَتْ تَقْتُلُنِي الأَسْئِلَةُ!

كَمْ عُودَ ثِقَابٍ أَدَّخِرُ لِأَصِلَ إِلَى قِنْدِيلِي؟

(2)

جُثَّتِي تَحْمِلُنِي وَالرُّوحُ مُرْهَقَةٌ. لَا الجُثَّةُ حَرَّرَتِ الرُّوحَ مِنْ قَيْدِ المَسَافَاتِ، وَلَا الرُّوحُ أَكْرَمَتِ الجُثَّةَ المُتْعَبَةَ!

(ضِدَّانِ فِي كُوبٍ أَرْتَشِفُهُ لِمَزِيدٍ مِنَ الدُّوَارِ).

يَرْفُضُنِي الفَرَحُ

(1)

قَالَتْ دَمْعَةٌ: مُتْعَبُ الخُطَى عَائِدًا يَتَرَنَّحُ؛ يُبْهِرُهُ سُلَّمُ البَيْتِ كُسُورِ الصِّينِ!

بَعْدَ الوُقُوفِ عِنْدَ البَابِ لَمْ يَجِدْ مِفْتَاحُهُ.

بِجِوَارِ حَائِطِهِ جَلَسَ يُرَمِّمُ تَعَبَهُ وَتَشَرُّدَهُ.

(2)

أَبْتَسِمُ، وَيَرْفُضُنِي الفَرَحُ... أَحْلُمُ، وَتَرْفُضُنِي الحَقِيقَةُ... أَتُوقُ إِلَى الأُفُقِ، وَيَرْفُضُنِي السَّفَرُ... أَجْمَعُ أَفْكَارِي، وَيَرْفُضُنِي النَّصُّ... أَصْرُخُ، وَيَرْفُضُنِي الصَّخَبُ... أَسْقُطُ مَغْشِيًّا عَلَيَّ، وَيَرْفُضُنِي المَوْتُ... أَتَسَلَّقُ سَرِيرِي مُنْهَكًا، وَيَرْفُضُنِي النَّوْمُ... صِرْتُ أَرْفُضُ المَكَانَ انْتِقَامًا مِنْ أَوْجَاعِي.

مَدِينَةٌ مِنْ شُمُوعٍ

(1)

شَمْعَةٌ فِي مَهَبِّ الأَسْئِلَةِ؛ تُصَارِعُ لِتُنِيرَ مَا حَوْلَهَا وَدَاخِلُهَا يَهْتَرِئُ، فَتَتَسَارَعُ خُطُوَاتُ الشَّمْسِ لِتَصْفَعَ هَدْأَةَ اللَّيْلِ.

(2)

أُشْفِقُ عَلَى تِلْكَ الشُّمُوعِ المُحْتَرِقَةِ فِي صَمْتٍ. / لَحَظَاتٌ تَتَطَايَرُ دُخَّانًا وَبَعْضٌ مِنِّي يَحْتَرِقُ.

مَدِينَتِي مَدِينَةٌ مِنْ شُمُوعٍ.

(3)

نِصْفُ شَمْعَةٍ، نِصْفُ فِنْجَانِ قَهْوَةٍ، نِصْفُ حُبٍّ، نِصْفُ رَغْبَةٍ، وَنِصْفُ تَذْكِرَةِ رَحِيلٍ؛ نِصْفُهُ ضِحْكَةٌ وَنِصْفُهُ خَيْبَةٌ... مَنْ يَأْخُذُ نِصْفِي المُشْرِقَ وَيَمْنَحُنِي مُبَرِّرًا كَافِيًا لِلْمَوْتِ؟!

(4)

المَوْتُ حَلٌّ مِثَالِيٌّ لِرُوحٍ تَئِنُّ وَلَا تَجِدُ الخَلَاصَ.

أَيَّتُهَا الشَّمْعَةُ الَّتِي حَارَبَتْ كَيْ تَتَوَهَّجَ دَاخِلِي؛ يَكْفِيكِ حَرْقًا لِيَدِي! فَلْنَمُتْ مَعًا؛ فَلَا شَيْءَ يَسْتَحِقُّ.

العَرِيشُ

تَعَلَّقَتْ أَرْوَاحُهُمْ بِاللهِ فَتَقَبَّلَهَا، وَمَنَحَهَا السَّلَامَ مِنْ دَنَاءَةِ الأَرْضِ.

العَرِيشُ صُورَةٌ لِمَوْتِنَا يَوْمَ عِيدٍ.

لِنَعِشْ طَاهِرِينَ، فَلَا نَدْرِي مَتَى تَرْتَقِي أَرْوَاحُنَا!

السَّنَةُ الجَدِيدَةُ

فِي مُنْتَصَفِ لَيْلٍ بَارِدٍ؛ تَأْتِينِي السَّنَةُ الجَدِيدَةُ دُونَ احْتِفَالٍ، تَجْلِسُ عِنْدَ رَأْسِي المُتَصَدِّعِ. / وَحِيدَيْنِ نَتَبَادَلُ النَّظَرَاتِ بِلَا انْفِعَالٍ.

تَصْعَدُ رُوحِي فِي زَفْرَةِ وَجَعٍ وَتَشَدُّهَا شَهْقَةٌ مُقَاوِمَةٌ؛ فَتَتَعَادَلُ كَفَّتَا الحَيَاةِ وَالمَوْتِ فِي الاحْتِمَالِ. يَتَعَالَى الأَنِينُ الأَبْكَمُ دَاخِلِي، وَأَصْرُخُ وَجَعًا مَفْجُوعَ الوَجْهِ تَلَوَّنَ بِزُرْقَةِ الحِبْرِ؛ وَنَدَى العَيْنِ يَجْرِفُ صَوْتَ المَقَالِ.

تُلَامِسُنِي السَّنَةُ الجَدِيدَةُ؛ فَأَرْتَعِشُ وَأَحْضُنُ نَفْسِي مُتَكَوِّمًا عَلَيْهَا، فَتَقُولُ فِي حُزْنٍ: لِمَ صَدِّي؟ لِمَ سُوءُ الفِعَالِ؟

أَقُولُ لَهَا: رَائِحَةُ المَوْتِ تَلُفُّ المَكَانَ لِسَنَةٍ حَبَلَتْ بِكِ، وَمَاتَتْ فِي نِفَاسِهَا قَبْلَ أَنْ تَفْطِمَ أُمْنِيَاتِي القَدِيمَةِ، فَكَيْفَ لِي بِالوِصَالِ؟

كَيْفَ أَحْتَفِلُ وَبَعْضُ أَحْلَامِي الصَّغِيرَةِ تَئِنُّ دَاخِلِي، وَلَمْ تُكْمِلْ بِإِشْرَاقَاتِ دِيسَمْبَرَ مَرَاسِمَ الاكْتِحَالِ؟

تَضِيقُ بِي الأَمَاكِنُ حَتَّى حُلْمًا

(1)

السَّوَادُ يَكْبُرُ حَجْمُهُ فِي قَلْبِي، وَهَذِهِ (الخُنَّسُ) صَارَتْ مُرْعِبَةً وَهِيَ تَكْنُسُ أَحْلَامِي الذَّابِلَةَ، وَفَضَائِي صَارَ شَاحِبَ الوَجْهِ؛ فَقَدَ أَغْلَبَ نُجُومِهِ، وَتَرَهَّلَتْ تَقَاسِيمُهُ.

(2)

مُوجِعٌ أَنْ تَضِيقَ بِكَ الأَمَاكِنُ حَتَّى حُلْمًا!

هَذَا الصَّبَاحَ –حُلْمًا– غَطَّيْتُ القَمَرَ بِالرَّصَاصِ وَأَعْدَمْتُ لَوْنَهُ، وَقَرَّرْتُ الرَّحِيلَ.

يَا وِجْهَةً بَاهِتَةً إِلَى أَيْنَ فَأَنَا مُتْعَبٌ؟!

نَزْلَةُ بَرْدٍ

(1)

تُعَانِقُنِي بِحَمِيمِيَّةٍ حَدَّ الرَّعْشَةِ،

لَا يَشْفَعُ لِي عِنْدَهَا أَنِينِي، وَتَبَتَّسِمُ انْتِصَارًا /

نَزْلَةُ بَرْدٍ.

(2)

حَارَبْتُ جَمَرَاتِ الحُمَّى المُشْتَعِلَةِ فِي جَسَدِي بِالمَاءِ حَتَّى أَنْهَكَنِي السَّعْيُ بَيْنَ سَرِيرِي وَصُنْبُورِ المَاءِ.

هَا أَنَا أَقَعُ مُتْعَبًا لِيَتَّقِدَ جَسَدِي حَدَّ الهَذَيَانِ.

أَهِيَ النِّهَايَةُ؟

(1)

دَاخِلِي يَتَآكَلُ. / أُوَاجِهُ الحَيَاةَ دُونَ عَوَازِلَ، وَرِيَاحُ الوَجَعِ تَصْنَعُ أَحَافِيرَ عَمِيقَةً، لَكِنِّي لَسْتُ بِصَلَابَةِ جِبَالِ الطَّاسِيلِي.

(2)

دَاخِلِي يَحْتَرِقُ.

غَرِيبٌ هَذَا السُّكُونُ حَوْلِي، وَالدُّخَّانُ لَوَّنَ الآتِي!

مُتَوَاطِئٌ هَذَا الصَّيْفُ وَخَائِنٌ ذَاكَ المَطَرُ!

أَهِيَ النِّهَايَةُ؟!

أَلَمْ يَعُدْ هُنَاكَ شَيْءٌ يَسْتَحِقُّ؟!

خَيْطٌ رَفِيعٌ

(1)

بَيْنَ الحَيَاةِ وَالمَوْتِ خَيْطٌ رَفِيعٌ يَتَرَاءَى لِي أَحْيَانًا بَعْضُهُ، فَتَتَعَالَى فِي مَدِّ البَصَرِ ضِحْكَاتُ أَطْفَالٍ أَعْرِفُهُمْ، وَتَتَعَالَى هُنَا أَصْوَاتُ نَحِيبٍ لَا أَضْمَنُ لِمَنْ تَكُونُ!

(2)

لِلْيَوْمِ الثَّالِثِ تَتَفَاقَمُ أَوْجَاعُ الجَسَدِ وَالرُّوحِ: تَوَرُّمٌ فِي السَّاقِ، أَوْجَاعٌ فِي كَتِفٍ يَحْمِلُ أَثْقَالًا فَوْقَ طَاقَتِهِ، وَمَغَصٌ فِي الذَّاكِرَةِ.

أُرِيدُ كُوبَ مَاءٍ، جَفَّ حَلْقِي!

وَصِيَّتِي الأَخِيرَةُ

(1)

جَفَّ حَلْقِي، وَتَشَقَّقَتْ شَفَتَايَ... دَاخِلِي يَحْتَرِقُ... كَلِمَاتِي تَتَهَاوَى عَطَشًا، وَخَفَقَاتُ قَلْبِي تَتَسَاقَطُ كَأَسْهُمِ صَفْقَةٍ خَاسِرَةٍ.

هَلْ لِي بِوَرَقَةٍ أَكْتُبُ فِيهَا وَصِيَّتِي الأَخِيرَةَ؟!

(2)

عِنْدَمَا أَمُوتُ اغْرِسُوا بِجِوَارِي زَيْتُونَةً، وَلَا تَخْشَوْا قَسْوَةَ الصَّخْرِ. سَتَنْمُو، وَفِي كُلِّ غُصْنٍ فَصْلٌ مِنْ حِكَايَتِي، وَسَتُسْمِعُكُمُ الطُّيُورُ الزَّائِرَةُ لَحْنَ وَجَعِي المَسْكُوتَ عَنْهُ.

غَيْبُوبَةٌ

(1)

رُوحِي تَتَسَرَّبُ مِنْ بَيْنِ يَدَيَّ، أَجْمَعُ بَعْضَهَا فَيَنْفَلِتُ البَعْضُ الآخَرُ، تُغَنِّي لِي أَسْأَلُكَ الرَّحِيلَ كُلَّ مَسَاءٍ، وَتُرْهِقُنِي فِي رِحْلَةِ جَمْعِ الشَّتَاتِ. / مُتْعَبٌ أَنَا. مُتْعَبٌ أَنَا.

(2)

أَنَا أَفْقِدُ وَعْيِي، وَأَتَعَثَّرُ بِي كَيْ لَا أَرْتَطِمَ عَلَى أَرْضٍ تَرْفُضُنِي.

فِي كُلِّ خَفْقَةٍ تَهْوِي بِي أَتَشَبَّثُ بِحُلْمٍ مَا لِأَكْتُبَ هَذِهِ الأَسْطُرَ. / سَلَامًا لِأَرْوَاحٍ تَتَرَاءَى لِي الآنَ.

(3)

رُوَيْدًا رُوَيْدًا / تُطْفِئُ الأَنْوَارَ –

غَيْبُوبَةٌ.

(4)

يَنْظُرُونَ إِلَى خَطِّ الحَيَاةِ.

فِي غُرْفَةِ الطَوَارِئِ تَعَرَّى اليَوْمُ مِنْ أَمَانِيه!

(5)

سَاعَتَانِ فِي مَكَانٍ مُظْلِمٍ مُتْعَبًا مِنَ الصُوَرِ المُتَعَاقِبَةِ وَمِنَ الأَصْوَاتِ الَّتِي لَا يَسْمَعُهَا غَيْرِي.

أُرِيدُ الابْتِعَادَ عَنْ هُنَا، وَلَا أَجِدُ طَاقَةً كَافِيَةً لِلْفِرَارِ مِنِّي.

(6)

بَيْنَ الحَيَاةِ وَالمَوْتِ شَعْرَةٌ؛ طِيلَةَ سَاعَتَيْنِ وَقَفْتُ عَلَيْهَا مُتَأَرْجِحًا، وَفِي دَاخِلِي بَعْضٌ مِنَ التَّحَدِّي وَبَعْضٌ مِنَ الصُّرَاخِ.

أَخِيرًا؛ انْقَطَعَتِ الشَّعْرَةُ فِي مُرَبَّعِ الحَيَاةِ لِأَكْتُبَ مُجَدَّدًا.

مِمْحَاةُ الذَّاكِرَةِ

بِعَشْوَائِيَّةٍ مَوْجُوعٍ؛ تَعْمَلُ مِمْحَاةُ الذَّاكِرَةِ.

يُذْهِلُنِي وُقُوفِي جَاهِلًا لِذَاكِرَةٍ جَمِيلَةٍ سُرِقَتْ مِنِّي.

تَسْقُطُ أَسْمَاءٌ وَأَرْقَامٌ، وَأَخْجَلُ عِنْدَمَا أَنْسَى بَعْضَ مَا كَانَ بَيْنَنَا.

الغَائِبَةُ تَعُودُ

اُكْتُبْ / اُكْتُبْ

(1)

صَوْتٌ مَا يَقُولُ: اُكْتُبْ، اُكْتُبْ... وَأَنَا أَتَمَاطَلُ تَائِهَ الرُّوحِ بَيْنَ قَبْرٍ يَنْتَظِرُ وَرْدَةً وَعَزَاءً لَمْ أُحْسِنْ إِلْقَاءَهُ فِي آخِرِ قَذِيفَةٍ تَشَظَّتْ لَهَا الرُّوحُ، وَبَيْنَ لَحْظَةٍ مُتْخَمَةٍ بِالحُبِّ.

كَيْفَ أَكْتُبُ وَأَنَا أَكَادُ أَفْقِدُ أَطْرَافَ رُوحِي مِنْ شَدِّ هَذَا وَجَذْبِ ذَاكَ؟!

(2)

قَدْ تَنْتَهِي حَيَاتُكَ وَأَنْتَ تَنْتَظِرُ فُرْصَةً لِفِعْلِ شَيْءٍ مَا أَوْ قَوْلِ شَيْءٍ مَا! الحَيَاةُ تَمُرُّ بِسُرْعَةٍ لِذَا لَا تَكْتُمْ مَا بِدَاخِلِكَ!

(3)

الصَّمْتُ أَرْحَمُ؛ فَهُوَ لَا يَخُونُ صَاحِبَهُ.

أَحْيَانًا يَخُونُ. / عِنْدَمَا يَرْفَعُ سَطْوَتَهُ عَلَى الفِكْرَةِ فَيَخْتَطِفُهَا البَوْحُ.

نَزِيفُ قَلَمِي

(1)

تَلِدُ الفِكْرَةُ القَدِيمَةُ فِكْرَةً جَدِيدَةً تَرْمِيهَا عَلَى رَصِيفِ السَّطْرِ الأَخِيرِ وَتَذْبُلُ،
تَصْرُخُ فِي وَجْهِي: تَكَفَّلْ بِي أَنَا يَتِيمَةٌ هُنَا، ارْفَعْنِي إِلَى صَفْحَةٍ كَامِلَةٍ تَلِيقُ بِي.

(2)

رُغْمَ المُقَاوَمَةِ؛

يُسَلِّمُ لِقَانُونِ الطَّبِيعَةِ، وَتَنَالُ مِنْهُ غِوَايَةُ الغَرَقِ. –

القَارِبُ المَشْرُوخُ.

(3)

فَرْحَةٌ خَجُولَةٌ مُتَأَخِّرَةٌ،

اسْتِقْبَالٌ بَاهِتٌ بِإِهْمَالٍ. /

مَاتَتِ القَصِيدَةُ.

(4)

أَيُّهَا المَلِكُ؛ عَلَى رُقعَةِ الشَّطْرَنْجِ لَا يَكْفِي وَلَاءُ مَنْ حَوْلَكَ! يُنَقِّذُونَ تَعْلِيمَاتِكَ بِإِخْلَاصٍ لِأَجْلِ أَمْنِكَ، وَتَمُوتُ أَنْتَ فِي لَحْظَةِ قَرَارٍ طَائِشٍ: شَاهْ مَاتْ!

(5)

لُعْبَةُ (Minesweeper) فِي نُسْخَتِهَا المُتَقَدِّمَةِ تَنْفَجِرُ الأَلْغَامُ فِي مَرَاحِلَ حَاسِمَةٍ كَمَا طَرِيقِي المُلَغَّمُ.

كَمْ شَظِيَّةً تَسْتَوْطِنُ جَسَدِي إِلَى حَدِّ الآنِ؟

(6)

فِي أَضْلُعِي العَوْجَاءِ كَبُرَتْ أَحْلَامٌ؛ كُلَّمَا أَصْلَحْتُ قَوَامَهَا انْكَسَرَتْ.

كَمْ كَسْرًا لِي فِي أَضْلُعِي؟

(7)

يُخَاصِمُ النَّبْعُ الأَرْضَ؛ فَيَحْبِسُ مَاءَهُ.

وَتَرْفُضُ السَّمَاءُ صَلَاةَ الاسْتِسْقَاءِ.

مَاتَتِ السَّنَابِلُ.

أَنَا وَالرَّاوِيَةُ

– شَهِيَّةٌ قَهْوَتُكَ وَخُلْوَتُكَ، وَشَهِيَّةٌ أَنْفَاسُكَ! مَتَى تُعِيدُنِي إِلَيْكَ؟ مَتَى تَفْتَحُ نَصًّا يُعِيدُنِي إِلَى الحَيَاةِ فِي حُضْنِ حَرْفِكَ؟

بِهَمْسِهَا كَانَتْ تَرْتَشِفُنِي مَعَ قَهْوَتِي.

– ... (صَمْتٌ)

– هُنَاكَ نَارٌ فِي دَاخِلِي تَتَّقِدُ بِشِدَّةٍ. كَرَاهِيَةٌ عَمِيقَةٌ تَخْنُقُنِي بِتَأَجُّجِهَا، وَيُخَفِّفُ عَنِّي صَوْتُكَ حِينَ يَأْتِي هَامِسًا: مَتَى تَعُودِينَ إِلَيَّ؟

– لَا أُرِيدُ أَنْ أَكْتُبَ!

– سَأَسْطُو عَلَى طُمَأْنِينَتِكَ، وَأَعْبَثُ بِهَا مَا دُمْتَ تَتَجَاهَلُ رَغْبَتِي فِي العَوْدَةِ.

– ابْتَعِدِي؛ لَا مِزَاجَ عِنْدِي لِلكِتَابَةِ!

– سَتَكْتُبُ رُغْمًا عَنْكَ. مَلَلْتُ تَشَرُّدِي.

عَائِدٌ إِلَى نَصٍّ يَتِيمِ الوِجْهَةِ

كُلَّمَا رَمَّمْتُنِي اكْتَشَفْتُ كَمَّ الخَرَابِ دَاخِلِي.

ضِحْكَاتِي لِطِفْلٍ فَقَدْتُ مَلَامِحَهُ يَعْكِسُهَا نُورٌ مِنْ سَنَوَاتٍ ضَوْئِيَّةٍ بَائِدَةٍ فِي مَرَايَا اللِّقَاءِ.

هَا أَنَا عَائِدٌ إِلَى نَصٍّ يَتِيمِ الوِجْهَةِ أَبْحَثُ عَنْ خَرِيطَةِ ذَاتِي.

مُتْعَبَةٌ

قَالَتْ: مُتْعَبَةٌ حَدَّ الاحْتِضَارِ!

وَانْكَمَشَتْ عَارِيَةً فِي زَاوِيَةٍ لِلدَّهْشَةِ.

مُفْلِسٌ صَبَاحِي مِنْ أَغْطِيَةٍ أُدَثِّرُ بِهَا أُمْنِيَةً سَقَطَتْ مِنَ الدَّفْتَرِ.

مُوجِعَةٌ رَعْشَتُهَا مِنْ وَجَعِ المَسَافَاتِ، وَمِنْ أَلَمِ الاغْتِرَابِ فِي المَهْجَرِ.

أَفْتَحُ شَبَابِيكِي أَبْحَثُ عَنِ الشَّمْسِ كَيْ تُشْرِقَ تَفَاصِيلُهَا، وَأَصْنَعُ لَهَا إِلَيَّ الطَرِيقَ وَالمَعْبَرَ.

لَمْلِمِي شَتَاتَكِ وَعُودِي، وَلَا تَرْحَلِي كَالبَقِيَّةِ؛ فَوَجَعِي صَارَ أَكْبَرَ.

حَالَاتُ الكِتَابَةِ

حَالَاتُ الكِتَابَةِ كَالمَرَضِ المُزْمِنِ.

الكَاتِبُ إِنْ حُوصِرَ يَمُوتُ!! لَهُ فَرَحُهُ وَلَهُ حُزْنُهُ، وَلَهُ يَأْسُهُ الَّذِي لَا يَفْهَمُهُ إِلَّا كَاتِبٌ مِثْلُهُ أَوْ عَارِفٌ بِالكِتَابَةِ وَأَسْرَارِهَا، وَلَهُ كَهْفُهُ العَمِيقُ الَّذِي يَرْتَحِلُ بِهِ، وَيَخْتَلِي فِيهِ حَتَّى وَسْطَ الصَّخَبِ.

لَا تَتَأَذِّي حَبِيبَتِي مِنْ نَوْبَاتِ كَاتِبٍ يَعْشَقُكِ!!

صُلْحُ الأَوْرَاقِ مَعَ الحَرْفِ

تَصَالَحَتِ الأَوْرَاقُ مَعَ الحَرْفِ المَسْكُوبِ فِيهَا وَجَعًا، وَتَعَرَّتْ تَحْتَ الشَّمْسِ حَتَّى جَفَّ الحِبْرُ، وَصَارَ قِطْعَةً أَصِيلَةً مِنْهَا، وَقَرَأْتُ نَصًّا غَيْرُ الَّذِي كَتَبْتُ.

كُتِبَ فِي مُفْتَتَحِ الحِكَايَةِ: بُثَّ وَجَعَكَ هُنَا كَمَا تَشَاءُ، لَكِنْ لَا تَمْنَحْ مَنْ أَوْجَعُوكَ سُلْطَةَ الحُضُورِ. أَنْتَ تَكْتُبُ حُزْنَكَ لِتَتَعَرَّى مِنْهُ؛ لَا لِأَنْ يُصْبِحَ شَرِيكًا لِلْآتِي مِنْ أَعْمَارِنَا.

||||||||||||||||||||||||||

تَوْقِيعٌ أَخِيرٌ

بَعْضٌ مِنَّا لَا يُمْكِنُ أَنْ نَنْسَاهُ. إِنَّهُ لَا يَسْقُطُ بِالتَّقَادُمِ؛ لِذَا فَإِنَّنَا نَكْتُبُ.

~~~~~~~

لِلتَّوَاصُلِ مَعَ الكَاتِبِ

facebook.com/algerialover81

candlesdz@outlook.com
~~~~~~~